روايات مصرية للجيب

العدد العاشر

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

الفارس

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

د. نبيل فاروق

● مع بدء العد التنازلى ، نحو القرن الحادى والعشرين ..

● مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..

● مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..

● مع كل هذا جاءت كوكتيل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..

● إلى الحضارة ..

● إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم

د. نبيل فاروق

السر

(قصة قصيرة)

« اتطالبنى حقا بنصيبك ؟!.. »

انكمش الشيخ (أحمد) فى مقعده ، وهو يتطلع إلى ابن شقيقه (طاهر) ، الذى نطق العبارة السابقة فى شراسة مخيفة ، تقافز لها الشرر من عينيه ، وتشكلت لها ملامحه فى هيئة شيطانية رهيبة ، قبل أن يستطرد فى غضب :

– اى نصيب هذا ؟

ازدرد الشيخ (أحمد) لعابه فى صعوبة ، وهو يتطلع إلى (طاهر) ، الذى بدا له عملاقا ، بقامته الرياضية المشوقة ، وصدره العريض ، وعضلاته المفتولة ، وتمتم الشيخ فى خفوت :

ـ نصيبى فى الأرض يا ولدى .. انت تعلم اننى ووالدك (رحمه الله) ، كنا شريكين فى قطعة الأرض ، ولكنها كانت مسجلة باسم والدك وحده ، و ...

قاطعه (طاهر) فى صوت هادر :

ـ انت قلتها .. كانت مسجلة باسم والدى وحده ، وهذا يعنى انه لا نصيب لك فيها .. ولا مترا واحدا .. القانون هو القانون .

ازدرد الشيخ (احمد) لعابه مرة اخرى ، وقال :

ـ لست اتحدث عن القانون يا ولدى ، ولكن عن العدالة والحق .. لقد سمعت والدك بنفسه يتحدث عن مشاركتى له فى قطعة الأرض ، ويشير إلى نصيبى فيها ، قبيل وفاته بايام ، و ...

قاطعه (طاهر) ثانية :

ـ لم اسمع شيئا .

شعر الشيخ (احمد) باليأس ، وهو ينظر إلى ابن شقيقه الجاحد ، وراح يقارن ـ دون وعى ـ ما بين ضخامة (طاهر) وضآلته هو ، قبل ان يقول فى لهجة اقرب إلى الضراعة :

ـ لا تجعل الطمع يعمى عينيك عن الحق .. انت تعلم اننى امتلك ربع قطعة الأرض ، فلماذا ترفض منحى ما املك ؟

تراجع (طاهر) فى مقعده ، وقال فى سخرية :

ـ اى حق هذا يا عماه ؟.. هل تمتلك عقدا مكتوبا ؟.. او حتى وثيقة قانونية واحدة ؟.

تنهد الشيخ (احمد) ، وقال :

ـ فى جيلنا كان الأمر يختلف كثيرا يا ولدى ، ولم يكن الشقيقان يحتاجان إلى عقود مكتوبة ، لضمان حق كل منهما لدى الآخر .

اطلق (طاهر) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـ فليدفع جيلكم ثمن هذا إذن .

شعر الشيخ (احمد) بقلبه يمتلىء سخطا ، فقال فى توتر :

ـ لا تضطرنى لفعل ما اكره يا ولدى .

ابتسم (طاهر) ساخرا ، وقال :

ـ وماذا يمكنك ان تفعل ؟

قال الشيخ (احمد) فى حدة :

ـ من يدرى ؟.. يضع الله (سبحانه وتعالى) سره ، فى اضعف مخلوقاته .

قهقه (طاهر) ضاحكا ، فى تهكم شديد ، قبل ان يشير إلى عمه فى ازدراء ، قائلا فى لهجة لم تتلاش السخرية من حروفها بعد :

ـ اى سر يا رجل ؟.. الم تلق نظرة واحدة على وجهك فى المرآة ؟.. الم تدرك ابدا اى مخلوق تافه انت ؟.. الم تنتبه إلى انك قد تجاوزت الثمانين من عمرك ؟

هتف الشيخ فى غضب :

ـ اسمع يا (طاهر) .. لقد تجاوزت حدودك كثيرا .. سارفع الأمر إلى القضاء ، ولدى شهود ، سيؤكدون احقيتى فى قطعة الأرض .

اشتعلت نيران الغضب فى عينى (طاهر) ، وهو يقول :

ـ شهود ؟

ثم مال نحو عمه ، مستطردا فى شراسة مخيفة :

ـ اتتصور انك ستخيفنى بهذا ؟

انكمش الشيخ (احمد) اكثر واكثر فى مقعده ، وراح جسده يرتجف ، امام نظرة (طاهر) الرهيبة ، فى حين استطرد هذا الاخير فى عدوانية واضحة :

ـ يبدو انك لا تدرك ما يمكننى ان افعله بك .. هل ترى هذه الحشرة ؟

قالها وهو يشير إلى نملة صغيرة ، تسللت إلى سطح المائدة ، وراحت تحث الخطا نحو ذرة من السكر ، سقطت عفوا ، واضاف فى غضب :

ـ ساسحقك مثلها .

وسحق النملة بطرف سبابته فى عنف ..

* * *

هز الطبيب راسه فى دهشة تمتزج بالرهبة ، وهو يغمغم :

ـ لم ار مثل هذا ابدا .. لقد قرات يوما عن هذا الأمر ، ولكننى لم اشاهده طوال حياتى المهنية قط .

استمع إليه ضابط الشرطة فى صمت ، ثم رفع عينيه إلى الشيخ (أحمد) ، وسأله :

ـ ماذا حدث بالضبط أيها الشيخ ؟

هز الشيخ (احمد) راسه فى حيرة ، واجاب :

ـ لست ادرى أيها الضابط .. لقد سحق النملة بطرف سبابته ، ثم اطلق شهقة ، واحتبست انفاسه فى حلقه . وخيل إلى ان وجهه ينتفخ ويحتقن ، ورفع يده نحوى . وكانه يستنجد بى ، إلا انه لم يلبث ان سقط عند قدمى جثة هامدة .. لست ادرى حقا ماذا حدث ؟

تطلع الضابط إلى جثة (طاهر) فى حيرة ، ثم سأل الطبيب :

ـ اهناك تفسير علمى لهذا ؟

أومأ الطبيب براسه إيجابا ، وقال :

ـ نعم .. إنها حساسية فائقة لحمض النمليك ، الذى تفرزه النملة ، عند التعرض للخطر ، أو عند سحقها .. إنه أمر يشبه الحساسية الفائقة لعقار البنسلين ، ولكنه شديد الندرة ، بحيث تجده لدى واحد من كل تسعة ملايين من البشر .. لقد سحق النملة ، فقتله الحمض الذى افرزته ، بمجرد أن مس طرف سبابته .

هز الضابط راسه فى رهبة ، وعاد يتطلع إلى جثة (طاهر) ، قبل أن يقول فى اسف :

ـ يا لحكمة الله (سبحانه وتعالى) !!.. كل هذا العنفوان والشباب والقوة ، وتقتله نملة واحدة !.. سبحان الله !!

خيل إليه ان الشيخ (أحمد) يبتسم ، وهو يقول :

ـ يضع الله (سبحانه وتعالى) سره فى اضعف مخلوقاته يا ولدى .

واتسعت ابتسامته قليلا ، وهو يستطرد :

ـ اليس كذلك ؟

كوكتيل ٢٠٠٠
روايات مصرية للجيب
العقرب

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

١ ـ المتهم ..

لم تستطع (غادة) منع نفسها من الابتسام ، عندما شاهدت (نديم فوزى) ، وهو يخطو داخل قاعة المحكمة ، مرتديا روب المحاماة ، ووجهه يحمل كل علامات الرصانة والوقار ، فقالت ضاحكة :

ـ تصور انها اول مرة اراك فيها فى هذا الزى !

أجابها فى هدوء :

ـ هذا لأنك نادرا ما تأتين إلى هنا ، على الرغم من ترخيص مزاولة مهنة المحاماة الذى تحملينه .

ضحكت مرة اخرى ، وقالت :

ـ وما ذنبى انا ؟ إنك تطالبنى دائما بأعمال أخرى ، لا تمت للمحاماة بصلة .

ثم مالت على أذنه ، مستطردة فى مرح :

ـ بل إلى العقارب .

لم يبتسم لدعابتها ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. هذا وذاك يسعيان إلى تحقيق العدالة .

أدركت أن محاولتها دفعة إلى الابتسام ستبوء بالفشل ، فتنهدت وقالت :

ـ حسنا يا (نديم) ـ أخبرنى : ما نوع مرافعتك اليوم ؟

هز كتفيه ، وقال :

ـ إنها قضية تموينية كبيرة ، و ...

حدقت فى وجهه بدهشة ، على نحو دفعه إلى بتر عبارته ، وهو يقول :

ـ ماذا فى هذا ؟

فوجىء بها تنفجر ضاحكة ، وهى تقول :

ـ قضية تموين ؟!.. هل ستترافع فى قضية تموين ؟

عقد حاجبيه قائلا :

ـ ولم لا ؟.. انسيت اننى محام عام ، واننى ..؟

قاطعته مستنكرة :

ـ ولكن هذا لا يناسبك .. لا يمكننى ان أتصورك فى هذا الموقف .

قال فى جدة :

ـ لماذا ؟

اتاه الجواب من خلفه ، بصوت خشن ، يقول :

ـ لأن القضايا العادية لا تليق بـ (العقرب) .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (غادة) ، وهى تتطلع إلى صاحب العبارة ، فى حين التفت إليه (نديم) فى هدوء ، وقال وكأنه لم يسمع كلمة واحدة :

ـ صباح الخير يا (مجدى) .. كيف حالك ؟.. اى رياح طيبة القت بك هنا ؟

نظر إليه المقيد (مجدى) فى تحد ، وهو يقول :

ـ يخيل إلى انك تحاول تجاهل عبارتى تماما ايها (العقرب) .

ربت (نديم) على كتفه ، وهو يقول :

ـ بل انت الذى يصر على مخاطبتى بهذا اللقب .

عقد (مجدى) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ اسمع يا (نديم) .. إنك تتصور نفسك ذكيا ، ولكننى سأوقع بك يوما ما ، وسأثبت انك (العقرب) ، الذى ...

قاطعته (غادة) هذه المرة ، وهى تقول فى سخرية :

ـ عجبا !.. الا يبدو هذا الحديث مكررا ؟.. يلوح لى اننى قد سمعته فى برنامج قديم .

رفع (مجدى) عينيه إليها فى حركة حادة ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ اسمعى ايتها الـ ...

اعترض (نديم) استمرار العبارة ، وهو يقول بغتة :

ـ إنك لم تخبرنى لماذا انت هنا يا (مجدى) .

بدا لحظة ان هذه المقاطعة قد احنقت (مجدى) وانه سينفجر فى وجه (نديم) ، إلا ان كل هذا لم يلبث ان تلاشى بغتة ، وقال (مجدى) :

ـ إننى شاهد رئيسى ، فى قضية مخدرات كبيرة .

قال (نديم) فى رصانة :

ـ اتقصد قضية (إبراهيم علوان) ؟

لوح (مجدى) بسبابته ، قائلا :

ـ هو ما تقول :

ثم اندفع بغتة مبتعدا ، وهو يستطرد :

ـ إلى اللقاء .

ابتسمت (غادة) ، وهى تراقب ابتعاده ، وقالت :

ـ يا له من لحوح !

غمغم (نديم) :

ـ إنه يؤدى عمله .

التفتت إليه ، تساله فى فضول :

ـ من (إبراهيم علوان) هذا ؟..

اجابهـا (نديم) ، وهو يسير إلى جوارها ، نحو قاعة الجلسات :

ـ إنه عقيد فى إدارة مكافحـة المخدرات ، تم ضبطه فى كمين ، وهو يحمل فى حقيبـة سـيارته كيـلوجرامين من الهيروين النقى ، المسروق من إدارة مكافحة المخدرات نفسها ، بعد ضبطية قضائية كبيرة .

توقفت تهتف مستنكرة :

ـ يا إلهى !.. اتعنى ان العقيد (إبراهيم علوان) هذا كان يلقى القبض على مروجى المخدرات ، ويصادر بضاعتهم ، ثم يسرقها لنفسه ؟

اومأ براسه إيجابا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، طبقا لأوراق القضية .

عقدت حاجبيها لحظات مفكرة ، ثم قالت :

ـ هناك امر لا يروق لى فى هذه القضية .

سالها فى اهتمام :

ـ ما هو ؟

اجابته فى حماس :

ـ لمـاذا يسرق العقيد (إبراهيم) الهيروين ، بعد تسليمه إلى إدارة مكافحة المخدرات ، وبعد ان يتم وزنه وتحريزه ؟.. اليس من الأسـهل والأقل خطورة أن يسرقه عنـد ضبطه مباشرة ؟

بدا له سؤالها منطقيا للغاية ، واثار فى اعماقه حماسـا يمتزج بشىء من القلق ، جعله يقول :

ـ نعم .. لمـاذا ؟

ثم اعتدل مستطردا برصانته المعهودة :

ـ من حسن حظنا ان قضية (إبراهيم علوان) ستنظر فى نفس القاعة ، التى ستشهد قضيتنا ، وهذا يجعل من السهل علينا ان نتابعها ايضا .

سالته فى شغف :

ـ هل اثار الأمر اهتمام (نديم فوزى) ، ام (العقرب) ؟

خيل إليها ان عينيه قد ابتسمتا ، وهو يقول :

ـ من يدرى يا عزيزتى ؟.. من يدرى ؟

واتجه إلى قاعة الجلسات ..

* * *

كانت محاكمة (إبراهيم علوان) مثيرة بحق ، فلقد لخص وكيل النيابة القضية ، قائلا : إن الشرطة قد تلقت بلاغا من مجهول ، يقول فيـه : إن العقيد (إبراهيم علوان) يسرق الهيروين من ضبطيات الإدارة ، وإنه يحمل فى حقيبة سيارته

الآن كيلوجرامين منه ، وهنـا اسرع رجال إدارة مكافحـة المخدرات يعدون كمينا للعقيد (إبراهيم) ، وعثروا فى سيارته

على الكيلوجرامين ، وبمعاودة فحص ووزن كمية الهيروين المضبوطة فى الإدارة ، وجد انها تنقص هذين الكيلوجرامين ، وبمراجعة اوراق الأمن ، واقوال العاملين فى الإدارة ، ثبت ان العقيد (إبراهيم) هو الشخص الوحيـد ، الذى يمكنه مغادرة حجرة الضبطيات دون تفتيش ، مما يجعله الوحيد القادر على الخروج بالهيروين المسروق ، ومن هنا تم تحويل الأمر إلى القضاء ..

وحاول محامى العقيد (إبراهيم) الدفاع عن موكله ، بسرد تاريخه المشرف فى إدارة مكافحة المخدرات ، وبسؤال عدد من زملائه ، الذين اجمعوا على كونه رجلا شريفا ، وضابطا عظيما

طيلة عمله ، وإن لم يجزم احدهم باستحالة قيامه بسرقة الهيروين ؛ نظرا لأن الأدلة المـادية كلها تدينه ..

وكانت شهادة (مجدى) إحدى هذه الشهادات ، ولقد دافع عن زميله العقيد (إبراهيم) فى حمـاس ، ولكن هذه الشهادات لم ترق أبدا إلى قوة أدلة الإدانة ، حتى ولو اضفنا إليهـا إصرار المتهم الشديد على براءته من هـذه التهمة المخزية ..

ومالت (غادة) على اذن (نديم) ، تسأله :

ـ ما رايك ؟

صمت لحظات ، قبل أن يجيبها فى هدوء :

ـ لا احد يمكنه الجزم بحقيقة الأمر ، فقد يكون هـذا الرجل بريئا ، أو ان العكس هو الصحيح ، فشهادة زملائه على حسن سلوكه قد لا تعنى براءته ، بل ذكاءه فى إخفاء حقيقة امره .. ولقد شاهدنا مثل هذه الصورة كثيرا .

قالت فى حزم :

ـ ولكنه برىء .

سألها فى هدوء :

ـ كيف يمكنك الجزم بهذا ؟

ترددت لحظة ، ثم قالت فى عناد :

ـ غريزة الأنثى .

لم تكد تنطقها حتى حمدت الله (سبحانه وتعـالى) فى أعماقها ؛ لأن (نديم) لا يميـل إلى السخرية ، وإلا لانفجر

ضاحكا ، واراحها ان استقبل قولها بجدية ، وهز راسه ، قائلا :

ـ معذرة يا عزيزتى ، ولكن لا يمكننى الاعتماد على هذا وحده .. أحتاج إلى دليل واحد .

همست فى اذنه :

ـ وهل يحتاج (العقرب) إلى الأدلة ، للدفاع عن العدالة ؟

اجابها فى حزم :

ـ إنه ايضا لا يندفع لاقتحام قضية ما ، ما لم يطمئن إلى سلامة موقفه .

انتهى القاضى ـ فى هذه اللحظة ـ من مناقشة مستشاريه ، فاعتدل فى مقعده ، وقال فى مهابة ووقار :

ـ تؤجل الجلسة إلى الثانى من الشهر القادم ؛ للنطق بالحكم .

لم يكد القاضى ينطقها ، حتى أدار (نديم) عينيه إلى حيث العقيد (إبراهيم) ، وكأنما يرغب فى دراسة رد فعل الرجل ، وبدا له (إبراهيم) منهارا ، مفعما بالمرارة ، يتطلع إلى الجميع فى اسى ، وكأنما يبحث بينهم عمن يتشبث به ..

وفجأة اتسعت عينا (إبراهيم) ، وتالقتا ببريق عجيب ، وكأنما اضىء عقله بغتة ، وهتف :

ـ اقبضوا على هذا الرجل .

قالها واشار بسبابته إلى باب القاعة ، حيث بدا بعض الحاضرين فى الانصراف ، فأدار (نديم) و (غادة) عيونهما

بسرعة إلى حيث يشير ، فى حين استطرد (إبراهيم) فى ثورة مباغتة :

ـ إنه المجرم الحقيقى .. القوا القبض عليه .. القوا القبض عليه .

تركزت عينا (نديم) على وجه الشاب النحيل ، الذى أشار إليه (إبراهيم) ، وخيل إليه انه قد عثر على الدليل الذى ينشده ، بين ملامح هذا الشاب ..

وكان هذا الدليل مجرد ابتسامة ..

ابتسامة ساخرة .

* * *

٢ ــ وجه العدالة ..

تطلع العقيد (إبراهيم) ، فى يأس وحيرة ، إلى وجـه (نديم فوزى) ، داخل حجرة مدير السجن ، وقال :

ــ انت محام ؟!.. ولكن لمـاذا ؟.. هناك محام يتولى مهمة الدفاع عنى بالفعل ، ولست ادرى لمـاذا تجشمت كل هذا العناء ، لتستخرج تصريحا بمقابلتى ، وانت تعلم هذا !

جلس (نديم) أمامه ، وقال فى بساطة :

ــ لقد حضرت آخر جلسات قضيتك ، وقررت الدفاع عنـك .

قال (إبراهيم) فى مرارة :

ــ اشكر لك هذا ، ولكننى لا استطيع الاستعانة باثنين من المحامين .. اعنى ان قدراتى المـالية لا تسمح بذلك .. انت تعلم ضعف الراتب .. اليس كذلك ؟.

اومأ (نديم) براسه متفهما ، وقال :

ــ سأعتبر هذا دليلا آخر على براءتك يا سيدى .

ثم اضاف وهو يميل نحوه براسه :

ــ الواقع اننى لن اتقاضى قرشا واحدا عن الدفاع عنك .. بل ولن تحتاج إلى توكيلى رسميا .

حدق (إبراهيم) فى وجهه بدهشة ، ثم لم يلبث ان هتف :

ــ يا إلهى !.. إننى اعرفك .. لقد عملنا معا مرة ، منذ خمس سنوات .. انت (نديم فوزى) .. اليس كذلك !

أجابه (نديم) ، محاولا تجاهل هذه النقطة :

ــ بلى .. والآن اخبرنى ، من ذلك الشاب ، الذى اشرت إليه فى نهاية الجلسة ، وناشدت الجميع إلقاء القبض عليه ؟

ارتسم الغضب على وجه (إبراهيم) ، وهتف :

ــ إنه أمين مخزن المضبوطات .. هو الوحيد الذى كان يمكنه سرقة الهيروين ، و ...

انهارت ملامحه بغتة ، مع انهيار صوته ، وهو يستطرد :

ــ ولكن لمـاذا أخبرك ؟. لن يصدقنى أحد .. إنهم حتى لم يحاولوا إلقاء القبض عليه .

قال (نديم) ، محاولا تهدئته :

ــ لم يكن هناك ما يستوجب هذا ، على الرغم من اتهامك له ، فلقد استجوبه وكيل النيابة من قبل ، وثبت انه لم يكن يحمل الهيروين عند انصرافه ، فقد تم تفتيشه كالمعتاد ، ثم إنه لم يكن هناك مبرر لوضع ما سرقه فى حقيبة سيارتك انت .

صاح (إبراهيم) :

ــ من المؤكد انه يعمل لحسابهم .. لقد فعلوا هذا للانتقام منى .

اعتدل (نديم) ، وسأله فى أهتمام :

ــ من هم هؤلاء يا سيادة العقيد ؟

اندفع يقول فى حدة :

ــ تجار الموت .. بائعو السـموم .. اولئك الأوغـاد

الاشرار ، الذين قضيت حياتى احـــاربهم .. لقد ابتاعـــوا ضميره للانتقام منى .. إنهم ...

اشـار إليه (نديم) ان يلتزم الصمت ، وهو يقول :

ـــ رويدك يا سيادة العقيد .. حاول ان تســـيطر على انفعالاتك ، وتخبرنى باسماء هؤلاء .

عض (إبراهيم) شفته السفلى فى حنق ، وهو يقول :

ـــ ليتنى اعلمها .. ليتنى أعرف من هم .

تراجع (نديم) فى مقعده ، وغمغم :

ـــ إذن فلست تعلم من هم !

ثم نهض بحركة مفاجئة ، وهو يستطرد فى حسم :

ـــ دع أمرهم لى إذن .

سأله (إبراهيم) فى حيرة :

ـــ وماذا يمكنك ان تفعل ؟.. لن تجد دليلا واحدا لإدانتهم، ولن يمكنك ابدا ان ..

قاطعه (نديم) فى هدوء :

ـــ ومن قال إننى سأبحث عن ادلة ؟

سأله فى دهشة :

ـــ ماذا ستفعل إذن ؟

ألقى (نديم) نظـــرة طويلة ، عبـــر نافذة حجرة مامور السجن ، قبل ان يجيب :

ـــ سأسعى لتطبيق العدالة يا صديقى .

وبدا وكأن كلماته تحمل طنا من الحـــزم والصرامة ، وهو يضيف :

ـــ بوسيلتى الخاصة .

وفى اعماقه ابتسم (العقرب) ..

* * *

اطلق (درويش) ، أمين مخزن المضـــبوطات ، ضفيرا منفوما من فمه ، وهو يصعد فى درجات سلم منزله ، واتسعت ابتسامته فى زهو وسعادة ، لتلتهم وجهه النحيل كله ، وهو يدندن بكلمـــات اغنية حديثة ، ويدس مفتـــاحه فى ثقب باب شقته ، ثم يديره قائلا فى مرح :

ـــ انتهت ايام الفقر يا (درويش) .. الثـــراء والحيـــاة الرغدة ينتظرانك .

دلف إلى منزله ، أغلق بابه خلفه ، وهو يستطرد :

ـــ وداعا للفقر .

انتفض جسده انتفاضة عنيفة ، كادت تنتزع قلبه من بين ضلوعه ، عندما سمع من خلفه صوتا يضيف :

ـــ وللشرف .

استدار (درويش) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وانتفض جسده انتفاضة ثانية اكثر قوة وعنفا ، عندما وقع بصره على

صاحب الصوت ، الذى يختفى خلف قناع اســـود ، وقميص وسروالين وقفازين وحذاء من اللون نفسه ..

والتصق ظهر (درويش) بباب شقته ، وهو يهتف فى رعب :

ـــ من أنت ؟

اقترب منه (العقرب) فى برود ، وهـــو يقول فى صرامة مخيفة :

ـــ أنا من سيقتص منك ايها المجرم .

قال (درويش) فى انهيار :

ـــ لم افعل شيئا .

أجابه (العقرب) :

ـــ حقا ؟!.. وماذا عن الهيروين ، الذى سرقته من مخزن المضبوطات ؟.. هل تحب ان أخبرك كيف فعلت هـــذا ؟.. لقد أخذت الكيلوجرامين ، واذبتهما فى الحوض ، مع الميـــاه الجارية ، ثم غادرت المخـــزن ، وخضعت للتفتيش فى ثقة ؛ لانك لا تحمل شيئا ، فى حين كان مجرم آخر يضع وزنا مساويا من الهيروين ، فى حقيبة سيارة العقيد (إبراهيم) ، وثالث يبلغ الشرطة .. كانت خطة بسيطة وذكية ، أليس كذلك ؟

انكمش (درويش) فى مكانه ، وحمل صـــوته شـــيئا من الحدة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تريد منى بالضبط ؟

ارجفته نظرة صارمة فى عين (العقرب) ، الذى أجاب فى صوت ترتجف له الدماء فى العروق :

ـــ أريد اعترافا .. اعترافا كاملا .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يخفض (درويش) عينيه ، ويقول فى خفوت :

ـــ مستحيل :

نطقها واستجمع شجاعته كلها بغتة ، ودفع (العقرب) فى صدره ، هاتفا :

ـــ لن أقدم نفسى للموت هكذا .

تراجع (العقرب) إثر الدفعة ، فى نفس الوقت الذى دار فيه (درويش) على عقبيه ، وفتح باب شقته ، وهم بالعدو خارجه ، ولكن ..

أمسكت قبضـــة قوية بعنقه ، ، وأعادته إلى الشـــقة ، مصحوبة بصوت (العقرب) ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ محاولة فاشلة يا رجل .

استدار (درويش) فى حـــدة ، وطوح قبضته فى وجـــه (العقرب) ، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة فى مرونة ، وقال :

ـــ محاولة ثانية فاشلة .

ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، فى وجه (درويش) ، الذى أطلق صرخة الم عالية ، وهتف وهو يلـــوح بيده ، ويحاول منع نزيف أنفه باليد الأخرى :

ـــ الرحمة !! الرحمة !

انتزعه (العقرب) من مكانه بقبضتين فولاذيتين ، والصقه بالحائط فى عنف ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ هيا يا رجل .. اريد اعترافا كاملا .. وبسرعة .

هتف (درويش) فى مرارة :

ـ لا يمكننى هذا .. إنهم سيقتلوننى لو فعلت .

قال (العقرب) فى صرامة مخيفة :

ـ يبدو انك سيىء الحظ كثيرا ، فسأقتلك انا لو لم تفعل .

كان من الواضح أن عبارته قد تركت تأثيرها فى قلب (درويش) ، فقد ارتجف الرجل ارتجافة واضحة ، واطل الخوف من عينيه ، وانفرجت شفتاه على نحو يوحى بأنه سيدلى باعتراف رجل منهار ، لولا أن ارتفع من خلف (العقرب) فجأة صوت يموج بالظفر والتشفى ، يقول :

ـ يا للقدر !!.. يبدو اننى احيا افضل ليلة فى عمرى كله .. إننى محظوظ بحق .

ادرك (العقرب) من صاحب هذا الصوت ، قبل حتى أن يلتفت إليه ..

ـ كان (مجدى) ..

العقيد (مجدى) ..

* * *

من المؤكد ان (غادة) كانت ملفتة للنظر فى شدة ، وهى تجتاز الشارع الرئيسى فى حى (الباطنية) ، الذى يحوز شهرة واسعة ، فى عالم المخدرات ، مرتدية ذلك الثوب البالغ

الأناقة ، الذى جعلها تبدو كأميرة تتفقد الأحيـــاء الفقيرة فى مملكتها ..

وبقدر ما أثار جمالها وأناقتها الإعجاب ، أثار وجودها فى ذلك الحى الحيرة والشك ، حتى أن (قاسم عبيد) ، أكبـــر الرءوس فى المنطقة ، قد مال على أذن مساعده (جميل) ، وسأله :

ـــ ماذا تفعل فتاة مثلها هنا ؟

ألقى (جميل) نظرة لامبالية على (غادة) ، وقال :

ـــ ربما أتت لشراء جرام أو جرامين من المسحوق الأبيض.

عقد (قاسم) حاجبيه ، وهو يقول فى شك :

ـــ لا .. لست أظن هذا .. إنها لا تبدو مثل ..

قاطعه (جميل) فى استهتار :

ـــ لا تجعل جمالها وأناقتها يخدعانك يا زعيمى .. إننـــا ناجحون فى عملنا ، إلى الحد الذى أفسد حتى أبنـــاء الأسر الراقية ، فأدمنوا استنشاق المسحوق .. أراهنك أن جمالها هذا ليس سوى ..

كان دور زعيمه ليقاطعه هذه المرة ، وهو يمسك كتفه فى قوة ، ويقول فى حدة :

ـــ اصمت .. إنها تتجه إلينا مباشرة .

حدق (جميل) فى (غادة) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـــ إلينـــا ؟!

بلغت كلمته مســـامع (غادة) ، فارتسمت على شفتيهـــا ابتسامة ساخرة ، زادت من قلق (قاسم) وشكوكه ، وخاصة عندما مدت (غادة) يدها تصافحه فى هدوء ، وتقول :

ـــ (قاسم عبيد) ، أكبر تجار المنطقة .. أليس كذلك ؟

صافحها (قاسم) ، وهو يقول فى حذر :

ـــ بلى .. أنا أكبر تاجر أعلاف فى الـ .. ..

قاطعته ساخرة :

ـــ ومن ذكر أمر الأعلاف ؟

ثم مالت نحوه ، واستدركت فى حزم :

ـــ إننى أقصد المخدرات .

لم يكن ذلك سرا ..

صحيح أن الشرطة لم تنجح حتى الآن ، فى التقـــاط دليل قوى ، يصلح لإلقاء (قاسم عبيد) خلف القضبان ، إلا أن كل شرطى فى إدارة مكافحة المخدرات يعلم أنه الأكبر ، بين كل تجار هذه السموم البيضاء ..

وعلى الرغم من ذلك ارتجف (قاسم) ..

لم يكن يتوقع أبدا أن تواجهه (غادة) بكل هذا الوضوح والصراحة ..

لم يكن يتوقع هـــذا الهجوم اللفظى المباغت ؛ ولهذا ظل يحدق فى وجه (غادة) لحظـــات فى ذهـــول ، حتى سألهـــا (جميل) فى خشونة :

ـــ من أنت ؟.. وماذا تريدين ؟

التفتت إليه (غادة) ، وقالت فى صرامة :

ــ لا شأن لك بهذا ، ولا تنس ابدا انك مجرد تابع .

احتقن وجه (جميل) ، وهتف فى حنق :

ــ ايتها الـ ....

استوقفته زعيمه فى حزم ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ــ اصمت .

ثم أدار عينيه إلى (غادة) ، وقال وقد استعاد هدوءه :

ــ لن يصلح الحديث فى مثل هذه الأمور هنا .. هيا إلى مكتبى .

ابتسمت (غادة) فى ثقة ، وقالت فى بساطة :

ــ لا بأس .. هيا بنا .

تبعته إلى حجرة مكتبه ، الملحقة بمتجره ، ولم تكد تدخل إلى المكتب حتى اغلق (جميل) الباب خلفهما ، فأشارت إليه (غادة) ، وقالت ساخرة :

ــ أمن الضرورى ان يجلس هذا الشىء معنا ؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

ــ نعم .. إن وجوده ضرورى للغاية .

لم يكد يتم عبارته ، حتى سمعت (غادة) صوت (جميل) من خلفها ، يقول فى شراسة :

ــ وستعرفين لمـــاذا .

ثم مس نصل مدية حادة عنقها ، مع صوته يستطرد :

ــ بعد فوات الأوان .

عندئذ أدركت لمـــاذا ..

* * *

٣ ــ اللعبـة ..

كان الموقف دقيقا بحق ..

لقد حقق (مجدى) حلمه ، وضبط (العقرب) متلبسا .. وعلى الرغم من ذلك ، استدار (العقرب) فى هدوء يواجه (مجدى) ، الذى حملت شـــفتاه ابتسامة ظفـــر واسعة ، وامسكت قبضته مسدسا حكوميا كبيرا ، يصوبه إلى صـــدر (العقرب) فى تحفز واضح ..

وران صمت رهيب على المكان ، قطعه (درويش) فجاة ، عندما تعرف (مجدى) ، فهتف فى لهفة :

ــ الق القبض عليـــه يا ســـيادة العقيد .. إنه يهددنى بالقتل .

فوجىء بـ (مجدى) يقول فى خشونة :

ــ اصمت يا رجل .

تراجع (درويش) فى دهشة وقلق ، وراح ينقل بصره فى خوف ، بين وجهى (مجدى) و (العقرب) ، حتى قال هذا الأخير فى هدوء ، محاولا تغيير صوته :

ــ هل الحظ وحده ، هو الذى جاء بك إلى هنا ؟

أجابه (مجدى) فى زهو :

ــ بل عقلى هو الذى فعل ، فلقد شاهدت مثلك ما فعله (درويش) ، فى قاعة المحاكمة ، وادركت ان له صلة بالأمر ، ورايت الانفعال الذى ارتسم على وجهك حينذاك ، وعلمت

انك ستسعى حتما خلف (درويش) ، فانتظرت هنا ، حتى سمعت صرخة هذا الأخير ، فأسرعت إلى شقته ، ووجدت بابها مفتوحا — لحسن الحظ — وهاأنذا .

قال (العقرب) فى برود :

— تدهشنى الوسيلة ، التى بلغت بها هذا المكان ، على الرغم من خطـإ الاستنتاج ، فأنـا لم أذهب إلى أية قاعة محاكمات هذا الصباح .

أطلق (مجدى) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— هكذا ؟!.. لا يا صديقى .. لن يمكنك اللعب على هذا الوتر ، على الرغم من هذا القناع ، ومحاولة تبديل صوتك .. الم تنتبـه إلى الخطإ ، الذى وقعت فيـه ؟.. كيف علمت اننى اقصد هذا الصباح ، على الرغم من اننى لم اذكر هذا .

أجابه (العقرب) فى بساطة :

— لأننى اعلم أن محاكمة (إبراهيم علوان) ستتم هـذا الصباح ، وهناك فارق كبير بين معرفتى بالأمر ، وحضورى المحاكمة .

لم يرق هذا لـ (مجدى) ، ولم يعجبه أن حطم (العقرب) قرينته بهذه السهولة ، فعقـد حاجبيه فى صرامة ، وقال فى حدة ، وهو يرفع مسدسه إلى وجه (العقرب) :

— فليكن أيها المغرور ، سنقطع الشك باليقين .

وحملت كلماته كل غضب وحزم الدنيا ، وهو يستطرد :

— هيا .. انزع قناعك .

ولم يكن هناك مجال للفرار ..

* * *

شعرت (غادة) بنصل المدية الحاد على عنقها ، وأدركت على الفور أن (جميل) هذا من ذلك النـوع ، الذى لم يحظ بقدر كاف من التهذيب ، بحيث يتردد أمام قتل مخلوق حى ..

ولكنها لم تخف ..

لقد كانت تتوقع مثل هذا الموقف ، منذ وضعت قدميها فى هذه المملكة الإجرامية الرهيبة ..

مملكة الشر ..

وعندما وضع (جميل) نصل مديته على عنقها ، أدركت أن لحظة العمل قد حانت ..

وبدأت قتالها ..

وبلا تردد ..

نجاة قفزت يدها تمسك معصم (جميل) ، ثم انزلقت من ذراعه فى مهارة ورشاقة ، ودارت على كعبهـا فى مرونة ، ودفعت أظفارها فى عنق الرجل ، ثم قفزت تركل معدته بكعب حذائها الدقيق ، وطارت قدمها الأخرى تضرب المدية فى الوقت ذاته ..

وانثنى (جميل) ، وهـــو يمسك معدته فى الم ، فى حين قفزت (غادة) تلتقط المدية ، ووضعتها على عنقه هو ، قائلة فى سخرية :

ـــ معذرة .. لم انتبه إلى حديثك السابق .. ماذا كنت تقول ؟

شحب وجه (جميل) فى خوف ، ثم لم يلبث ان احتقن فى غضب ، فى حين قال (قاسم) وهو يتراجع إلى حيث مكتبه فى عصبية :

ـــ ما معنى هذا ؟

فوجىء بـ (غادة) تخرج من ثوبهـــا مسدســـا صغيرا ، وتصوبه إليه ، قائلة :

ـــ معناه انك ستتلقى رصاصة فى منتصف جبهتك تماما ، لو انك انتزعت مسدسك من درج مكتبك ، كما تنـــوى ان تفعل .

اتسعت عينا (قاسم) فى دهشة وذعر ، واحتبست كلماته فى حلقه ، فى حين سعل (جميل) فى توتر ، وقال :

ـــ إنها مجنونة ولا شك .. كيف تجرؤ على مهاجمتنا هنا ؟

أعادت (غادة) مسدسها إلى جيب سرى فى ثوبها ، وهى تقول :

ـــ اين كنت تحب أن افعل ؟.. فى حديقة الحيوان ؟

حبس كلماته فى حلقه ، وهو يتطلع إليها فى غضب ، فى حين سألها (قاسم) ، وقد تضاعفت عصبيته :

ـــ مرة اخرى اسألك ، ما معنى هذا ؟

اتخذت لنفسها مقعدا ، ووضعت إحـــدى ساقيها فـــوق الأخرى ، وهى تجيب :

ـــ معناه انكم لا تحسنون التعامل مع الضيوف .

غمغم فى دهشة :

ـــ الضيوف ؟!

أضافت فى هدوء :

ـــ ورجال الأعمال .

حدق فيها لحظات فى صمت وحيرة ، ثم تبادل مع (جميل) نظرة تساؤل ، واتجه إلى مكتبه ، وجلس على المقعد الوثير خلفه ، قبل ان يسألها فى حذر :

ـــ اى نوع من الأعمال ؟

أجابته فى هدوء شديد :

ـــ التوريد .. توريد الهيروين النقى .

عقد حاجبيه فى شدة ، ولاحظ العصبية الشديدة ، التى انتابت مساعده (جميل) ، فراح يفرك كفيه فى حدة ، وقال فى حذر :

ولكن التعامل مع هذا المسحوق محظور ، بأية صورة من الصور ، و ..

قاطعته فى لهجة توحى بالضجر :

ـــ اسمع يا رجل .. لست اهوى لعبة القط والفار هذه ، ولست مستعدة لإضاعة نصف عمرى فيهـــا ، فلقـــد اجريت تحريات واسعة هذا الصباح ، وعلمت منها انك زعيم تجار

هذا المسحوق ، واعلم الآن انك تخشى ان اكون واحدة من فتيات الشرطة وضباطها ، ولكننى لست كذلك .

ظل يتطلع إليهـا فى شـك وحذر ، عاجزا عن استيعاب أسلوبها المباشر ، فاستطردت فى سخرية :

ــ ولكننى شرطية سابقة .

اتسعت عيناه فى دهشة ، وهتف :

ــ شرطية ؟!

ابتسمت متهكمة ، وهى تجيب :

ــ نعم .. شرطية ســابقة ، ولا تجعل ذلك يرعبك إلى هذا الحد ، فلقد استقلت من صــفوف الشرطة منــذ عام كامل ، واعمل الآن محامية ، وامثل شرطيا سابقا ايضا ، يعمل محاميا كذلك ، ولكن فى الظاهر فقط ، فى حين يرغب فى إدارة مشروع آخر فى الباطن .

سألها فى حذر :

ــ ما اسم هذا المحامى ؟

أجابته فى بساطة :

ــ (نديم) .. (نديم فوزى) .. ولكن هذا لا يهم الآن .. المهم ان رئيسى هذا قد نجح فى إدخال كمية كبيرة من الهيروين النقى إلى البلاد ، ويحتفظ بها فى مكان آمن للغاية ، ويبحث عن موزع مضمون ، أو مشتر جيد ، يمكنه ان ينقده ثمن الكمية كلها فورا ، دون تسويف أو مماطلة ، فما رايك ؟

ساد الصمت التام فى حجرة مكتب (قاسم) ، الذى راح يتطلع إلى (غادة) فى إمعان ، وكأنما يحاول ان يستشف من

ملامحها ما تخفيه اعماقها ، إلا ان وجهها بدا له جامدا ، على الرغم من الابتسامة الواثقة ، والتى تعلو شفتيهـا ، والتى جعلته يقول فى النهاية :

ــ الواقع اننى لست ...

قاطعته ، وهى تنهض فى هدوء :

ــ اظنك تحتاج إلى وقت للتفكير .. اليس كذلك ؟

ثم اتجهت نحو الباب ، دون ان تنتظر جوابه ، مستطردة :

ــ سآتى لمقابلتك فى الصباح .. إلى اللقاء .

غادرت المكان ، واغلقت الباب خلفها فى لامبالاة ، فحدق (جميل) فى الباب المغلق فى دهشة واستنكار ، ثم التفت إلى زعيمه ، هاتفا :

ــ هل ستتركها تتصرف هكذا ؟

تطلع إليه زعيمه لحظات فى صمت ، ثم لوح بكفه ، قائلا :

ــ بالتأكيد .

هتف (جميل)

ولكنها هاجمتنى ، وهددتك بمسدسها ، و ...

قاطعته فى حدة :

ــ انت غبى .

حدق (جميل) فى وجهه فى دهشة ، وقال :

ــ انا ؟!

أجابه (قاسم) فى حدة :

ــ نعم .. انت غبى ، وعصبى ، وعنيف ، وكلها صفات ستوقع بك فى قبضة الشرطة يوما ما ، ما لم تتغلب عليها ..

الم تستوعب الأمر بعد ؟.. إننا أمام فتاة تقدم لنا عرضا ، وهذا العرض لا يحتمل سوى احتمالين ، لا ثالث لهما ، فإما أنها خدعة من رجال الشرطة للإيقاع بنا ، أو هو بالفعل تاجر جديد ، يرغب فى دخول عالمنا ، وفى الحالتين يكون من الخطإ أن نهاجم هذه الفتاة ، أو نقتلها ، فسيصبح هذا دليلا لإدانتنا فى الحالة الأولى ، وخطأ يفقدنا صفقة طيبة فى الحالة الثانية .

عقد (جميل) حاجبيه يدرس الأمر ، ثم غمغم :

ـ هذا صحيح .

تراجع (قاسم) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ وأنا لا احب أن اخسر لعبة مع الشرطة ، او صفقة مع تاجر جديد ، ولهذا ينبغى أن العب اللعبة بطريقتى انا .

مال (جميل) نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ كيف ؟

أشعل (قاسم) سيجارته ، ونفث دخانها فى بطء ، وهو يجيب :

ـ تماما كما سيفعلها رجال الشرطة ، لو كانوا فى نفس موضعنا .

وابتسم مستطردا فى سخرية :

ـ سنتحرى الأمر أولا .

وحملت ابتسامته شيئا جديدا ..

ومخيفا ..

* * *

٤ ـ وسقط الحاجز ..

لم يكن من السهل ـ بالتأكيد ـ أن ينزع (العقرب) قناعه ، ويهدد حياته وعمله ومستقبله بهذه السهولة ..

ولكن الموقف لم يكن ايضا سهلا أو هينا ..

لقد كان (العقرب) يواجـــه خصـــما لدودا ، لا يتمنى فى حياته اكثر من فضح شخصيته ، ولم يكن يحمل سلاحا ، فى حين كان خصمه يصوب إليه واحدا ..

وكان الموقف يحتاج إلى لعبة ذكية ..

أو إلى خدعة محكمة ..

وفى هدوء ، عقد (العقرب) ساعديه أمام صدره ، وقال :

ـ يخيل إلى انك تمزح أيها العقيد .

جذب (مجدى) إبرة مسدسه فى حزم ، وهو يقـــول فى حدة :

ـ هل تراهن ؟

هز (العقرب) كتفيه ، على نحو يوحى باللامبالاة ، وهو يقول :

ـ لست أميل إلى المراهنـــات ، فهى تخالف الشريعـــة الدينية ، أو الفطرة السليمة ، ولكنك تعلم حتما اننى لن انزع قناعى أبدا .

قال (مجدى) فى صرامة غاضبة :

ـ ستنزعه ، وإلا أطلقت عليك النار .

هز (العقرب) رأسه فى هدوء ، وقال :

ــ لن تفعل أيها العقيد .. لن يمكنك أن تفعل ؛ لأنك تلتزم بالقانون ، الذى يمنعك من إطـلاق النـار على شخص ، لم يحاول حتى مهاجمتك .

تطلع إليه (مجدى) فى صمت وحذر وغضب ، ثم قال فى عصبية :

ــ أعلم ما ترمى إليه يا (نديم) .. إنك تحاول دفعى إلى الاقتراب منك ، لنزع قناعك بنفسى ، عسى أن يمنحك هـذا فرصة تجريدى من مسدسى ، والفرار من هنـا ، قبـل أن اكشف شخصيتك ، ولكنك واهم ، فهذا القناع ، الذى تخفى به وجهك ، هو الحاجز الذى يحول بينى وبين إدانتك دائما ، فهو يثير الشك حول حقيقة شخصيتك ، والشك يميل دائما إلى كفة المتهم ، ولكننى مصر على إسقاط الحاجز هذه المرة ، ونزع قناعك .

ثم التفت إلى (درويش) ، واستطرد فى لهجة آمرة :

ــ انتزع أنت قناعه يا رجل .

هتف (درويش) فى ذعر :

ــ أنا ؟!

أجابه (مجدى) فى حدة :

ــ نعم .. أنت .. لا ترتجف هكذا .. إنه مجـرد رجل عادى ، على الرغم من مظهره المخيف ، الذى سيتلاشى فور نزعك قناعه الأسود هذا .. هيا .. انزعه .

تردد (درويش) لحظة أخرى ، إلا أنه لم يلبث أن وجـد الفكرة مغرية بحق ، فذلك المقنع وحده هو الذى يمثل خطرا عليه ، ونزعه القناع سيعنى وقـوع المقنع فى قبضة العقيد (مجدى) ، ونجاته هو بالتبعية ..

ومنحته الفكرة الشجاعة اللازمة ، فدار حول (نديم) ، الذى ظل يعقد ساعديه أمام صدره ، ومد (درويش) يده نحو القناع ، وهو يقول :

ــ سأنزعه .

وفجأة حل (نديم) ساعديه فى حركة سريعة ، وأمسك ذراعى (درويش) فى قوة ، وجعل من الرجل درعا ، يقيـه رصاصات مسدس (مجدى) ، وهو يقول :

ــ أحسنت يا رجل .

ثم اندفع بجسد (درويش) نحو (مجدى) ..

وارتبك (مجدى) بحق ..

لم يكن يتوقع هذا من (العقرب) ..

ولم يكن يستعد له ..

ثم إنه لا يستطيع إطلاق النار على (درويش) ..

ومع لحظات ارتباكه هذه ، بلغه (العقـرب) ، ودفـع (درويش) إلى صدره ، وهو يقول :

ــ اعذرنى على هذه الهدية السخيفة يا عزيزى (مجدى) .

ثم قفزت قدمه تركل المسدس من يد (مجدى) ، مستطردا :

ــ ولكنك أجبرتنى على منحك إياه .

تنجر الغيظ فى نفس (مجدى) ، عندما فقد سلاحه وفرصته على هذا النحو ، فأزاح (درويش) جانبا فى حــدة ، وهو يصرخ :

ــ لا .

ثم انقض على (العقرب) مستطردا :

ــ لن تخدعنى مرة أخرى .

هوى بقبضته على فك (نديم) فى قوة ، ولكن بطلنا تلقى اللكمة على ساعده ، وهو يقول :

ــ مهلا يا (مجدى) .

زمجر (مجــدى) ، وأطلق قبضــته الثــانية فى وجــه (العقرب) ، الذى استطرد فى حزم :

ــ إنك ترتكب خطأ جسيما بشجارك معى .

ثم انحنى متفاديا لــكمة (مجدى) ، الذى اختل توازنه ، فدار جسده حول نفسه ، و (العقرب) يتابع :

ــ فى حين أننا نسعى خلف هدف واحد .

ودفع ساعديه تحت ذراعى (مجدى) ، ثم رفــع كفيــه للتشابك أصابعهما ، خلف عنق هذا الأخير ، وهو يضيف :

ــ ومن الأفضل أن نتحد هذه المرة .

شلت هذه الوسيلة حركة (مجدى) تماما ، فراح يطــوح ذراعيه فى الهواء ، ويتلوى بجسده ، محاولا تخليص نفسه ، وهو يصرخ فى غضب :

ــ لن تهزمنى إلى الأبد .. لن تفعل .

قال (نديم) فى صرامة :

ــ كفى يا رجل .. من المؤكد انك تهتم بإثبات براءة زميلك (إبراهيم) ، وانا اسعى خلف الهدف نفسه ، ودليل البراءة يقف أمامنا على قدميه ، ويشاهد شجارنا شامتا .. اليست هذه سخافة منقطعة النظير ؟.. اليس من الأفضل ان نتحد ؛ لنفوز فى هذه المعركة على الاقل ؟..

توقف (مجدى) عن المقاومة ، وهو يغمغم :

ــ نتحد ؟!

كان من العسير عليه أن ينطق الكلمة ، وان يتصور محاولة تحويلها إلى حقيقة ..

هناك حاجز رهيب ، يحول بينه وبين (نديم) ..

حاجز من الغضب والعناد ..

حاجز مهيب عنيف ..

ولم يكن من السهل ابدا ان يتصور سقوط هذا الحاجز ..

بل من المستحيل ان يفعل ..

ولكن كلمات (نديم) كانت منطقية للغاية ..

إنهما يقاتلان من اجل هدف مشترك ..

ومن المحتم ان يتحدا معا ..

ولم لا ؟..

سيتحد مع (نديم) هذه المرة ..

سيعاونه حتى ينجحا فى إثبات براءة (إبراهيم) ..

وبعدها يعاود قتاله معه ..

وفى اعماقه سقط هذا الحاجز ، ووجد نفسه يقول :

ــ نعم .. لن يضيرنا ان نتحد ، ولو لمرة واحدة .

وهنا انتقل الشعور بالخطر إلى قلب (درويش) ..

إن اتحادهما يعنى المزيد من القوة لكليهما ..

ويعنى سقوطه هو ..

ولم يكن ليحتمل السقوط ..

والتفتت عيناه بسرعة إلى مسدس (مجدى) ، الذى اسقطه (العقرب) ، فقفز يلتقطه فى حـــدة ، ورنمه نحو (مجدى) و (نديم) ، وهو يهتف فى عصبية :

ــ فى هذه الحالة يختلف الأمر كثيرا ..

وبلا تردد ، اطلق النار ..

* * *

تألقت عينا (قاسم) ، وشفت خلجاته عن ارتياح بالغ ، وهو يضع سماعة الهاتف على اذنه ، ويستمع إلى شخص ما فى انتباه شديد ، قبل ان يقول :

ــ هذا عظيم .. عظيم جدا .

واعاد السماعة إلى موضـــعها ، وهو يبتســـم ابتسامة واسعة ، جعلت مساعده (جميل) يسأله فى لهفة :

ــ اهى اخبار سارة ؟

أجابه (قاسم)فى انفعال :

ــ بالتأكيد .

ثم اعتدل فى مقعده ، وسيطر على أعصابه الثائرة ، وهو يستطرد :

ــ لقد اتصلت برجل يعمل لحسابنا ، فى مديرية الأمن ، وسألته عن (نديم فوزى) هذا ، فأخبرنى أنه كان ضـــابطا برتبة رائد ، فى صفوف الشرطة ، ثم فصله وزير الداخـــلية السابق ، منذ ما يقرب من العام ؛ بسبب عنفـــه ، وإصراره على تخطى القوانين والإجراءات القانونية فى ضبط المتهمين ، ولقد حاول (نديم) فتـــح مكتب خاص للتحريـــات ، ولكنهم رفضوا طلبه ، وسحبوا منه رخصة السلاح ، فما كان منـــه إلا أن افتتح مكتبا للمحاماة ، وانضمت إليه زميلته (غادة) ، بعد أن استقالت بدورها .

سأله (جميل) فى اهتمام :

ــ إذن فلقد كانت الفتاة صادقة .

أومأ (قاسم) برأسه إيجابا ، وقال :

ــ هذا ما يبدو منطقيا ، فنحن أمام رجل يحمل كل المقت والكراهية لرجال الشرطة ، بعد فصله من الخدمة ، ومنعه من مزاولة عمل متميز ، ومن الطبيعى أن يسعى مثل هذا الرجل إلى ما يمنحه القوة ، ولذة محاربة الشرطة فى آن واحد ، ومن الطبيعى أن يقوده هذا إلى عالمنـــا .

سأله (جميل) فى شك :

ــ ولكن من أين له بالمـــال الكافى ، للاتجار فى الهيروين النقى ؟

اتسعت ابتسامة (قاسم) ، وهو يقول :

ــ والده واحد من أكبر مليونيرات (مصر) .

أومأ (جميل) برأسه ، وقال :

ــ إذن فقد ربحنا موردا جديدا .

مط (قاسم) شفتيه ، وقال :

ــ أو قتيلا جديدا ..

وانطلقت من بين شفتيه ضحكة ..

ضحكة شيطانية ..

* * *

٥ ــ اللقـاء ..

فى الاتحاد قوة ..

لم يؤمن (مجدى) فى حياته كلها بهذه العبارة ، مثلما يؤمن بها الآن ، بعد ما حدث ..

كان (درويش) يصوب إليه مسدسه ، ويضغط الزناد ..

ثم تحرك هو و (العقرب) ..

انحنى الاثنان فى حركة واحدة ، جعلت الرصاصة تعبر فوق رأسيهما ، ثم قفزت قدم (مجدى) تركل مسدس (درويش) ، واندفع (العقرب) فى الوقت ذاته نحو المجرم ، وكال له لكمة كالقنبلة ، طارت لها اثنتان من أسنان (درويش) ، قبل أن يرتطم هو بالحائط ، ثم يرتد ساقطا على وجهه ..

وبحركة سريعة ، التقط (العقرب) المسدس ، وامسك (درويش) من شعره ، وجذبه فى قوة ، حتى اجبره على الوقوف ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ستدفع ثمن هذا .

كانت الدماء تملأ فم (درويش) ، والرعب يملأ قلبه ، فهتف بمزيج منهما ، وهو يلوح بيده مذعورا :

ــ الرحمة !! الرحمة !!

أمسك (مجدى) عنق (درويش) فى قوة ، وقال فى غضب :

ــ اية رحمة تنشدها ، بعد محاولتك قتلنا يا رجل ؟

انهار (درويش) ، هاتفا فى ضراعة :

ــ لم أكن اقصد هذا .. لم أكن اقصده .

أمسك (العقرب) يد (مجدى) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ انتظر يا صديقى .. لقد ادرك هذا الوغد خطأه ، وسيكفر عنه باعتراف بسيط .

رمقه (مجدى) بنظرة نارية ، إلا انه غمغم :

ــ اتظنه سيفعل ؟

قال (العقرب) فى هدوء :

ــ بالتأكيد .

ثم التفت إلى (درويش) ، وقال فى صرامة :

ــ هيا يا رجل .. إننا ننتظر اعترافا مكتوبا منك .

زاغت عينا (درويش) ، وهو يقول فى ارتياع :

ــ لن استطيع .. اقسم ، إننى لا استطيع هذا .. سيقتلوننى لو فعلت .

كاد (مجدى) ينفجر غاضبا ، ويهيل طنا من السخط والسباب على رأس (درويش) ، ولكنه لم يكد يفتح فمه لينطق ، حتى فوجىء بـ (العقرب) يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول فى هدوء :

ــ يبدو انك قد اخطأت فهم الغرض الحقيقى من اعترافك يا رجل .

تطلع إليه (درويش) فى شك وحيرة ، فأكمل بنفس الهدوء :

ـ لسنا نحتاج إلى هذا الاعتراف لمعرفة الجانى الحقيقى، فنحن نعلم انه (قاسم عبيد) .

شحب وجه (دزويش) فى شدة ، وتطلع (مجدى) إلى وجه (العقرب) فى دهشة ، وهذا الاخير يتابع :

ـ إننا نعلم هذا ، ولدينا ما يدين (قاسم) ، ولكنه سيلقى بالتبعية كلها عليك ، وسيثبت هذا بالدليل الذى لديه .. وأنت تدرك هذا الدليل .

انهار (درويش) تماما ، عند هذه النقطة ، وقال :

ـ أقسم إننى لم أقصد الإساءة إلى العقيد (إبراهيم) .. لقـد أفهمنى (جميل) ، مسـاعد (قاسـم) أنهم يحاولون إحراجه ، وتهديده فحسب .. لم اكن أعلم انهم يخططـون لإلقائه فى السجن .

قال (العقرب) فى صرامة :

ـ أريد هذا الاعتراف مكتوبا .. هل ستفعل ؟

أجاب (درويش) ، وقد بلغ انهياره ذروته :

ـ سأفعل .. سأفعل كل ما تطلبونه .

وأدلى باعتراف تفصيلى ..

* * *

قرأ (مجدى) اعتراف (درويش) ـ للمرة الثانية ـ فى انفعال بالغ ، ثم طواه ووضـعه فى جيبـه فى حرص ، وهو يهتف :

ـ لقد حصلنا عليـه .. حصلنا على الاعتـراف .. لقد حققنا انتصارا رائعا ، وسريعا للغاية .

أجابه (العقرب) فى هدوء :

ـ ليس بعد يا صديقى .

تطلع إليه (مجدى) فى حنق ، وهتف :

ـ ماذا تعنى بليس بعد هذه ؟

وبدا وكأنما تذكر بغتة غرابة الموقف ، فاستطرد فى حدة :

ـ ثم لمـاذا لم تعـد إلى مسدسى ، ما دمت تدعى أننـا سنتعاون معا هذه المرة ؟

أجابه (العقرب) فى بساطة :

ـ ربما لأننى لا اثق فى حسن تعاونك يا صديقى .

صاح (مجدى) فى غضب :

ـ اى قول هـذا ؟.. انسيت اننى أمثـل القـانون ؟ وأننى ..؟

قاطعه فى حزم :

ـ ربما كان هذا هو السبب .

مرت لحظة ثقيلة من الصمت ، و (مجـدى) يتطلع إلى عينى (العقرب) فى تحد ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ اسمع يا (نديم) .. لقـد سمحت لنفسى بالجلوس معك ، وأنت تخفى وجهك بهذا القناع السخيف ، ولكن هذا لا يعنى أبدا أن ..

قاطعه (العقرب) مرة أخرى فى حزم :

ـ هل سنضيع الوقت فى هذه السخافات ؟

تفجر الغضب فى وجه (مجدى) ، وبدا أنه سينفجر بغتة كالقنبلة ، لولا ان استطرد (العقرب) دون توقف :

ـــ هذا الاعتراف ، الذى حصلنا عليه من (درويش) ، لا يكفى لتبرئة (إبراهيم) ، فمن الممكن ان يتراجع (درويش) عن اعترافه ـــ بكل بساطة ـــ أمام وكيل النيابة ، بحجة اننا قد اجبرناه عليه ، وفى هذه الحالة سيصبح موقف (إبراهيم) اكثر ضعفا .

ابتلعت هذه الكلمات غضب (مجدى) وثورته ، فسأل فى اهتمام :

ـــ ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

أجابه (العقرب) :

ـــ لابد لنا من الحصول على دليل إدانة قوى .

سأله بنفس الاهتمام :

ـــ كيف ؟

جلس (العقرب) على اول مقعد صادفه فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ ساخبرك كيف ..

وراح يروى خطته ..

* * *

لم يكد (نديم) يخطـــو داخل مكتبه ، فى الصباح التالى ، حتى استقبله عم (أحمـــد) ، عامل المكتب ، وهـــو يقول فى قلق :

ـــ هناك رجل ينتظرك فى مكتبك يا أستاذ (نديم) .

سأله (نديم) فى هدوء :

ـــ ولمـــاذا تنطقها بكل هذا القلق يا عم (أحمد) ؟

هز (أحمد) كتفيه فى حيرة ، وقال :

ـــ لست أدرى يا أستاذ (نديم) ، ولكن هيئة هذا الرجل لا تبدو مطمئنة ابدا .

ربت (نديم) على كتفه ، قائلا :

ـــ لا تجعل هذا يقلقك .

اتجه إلى حجرته بكل هدوء ، والقى نظرة على الرجل الذى يجلس داخلها ، والذى نهض يستقبله ، ومد يده يصافحه ، وهو يقول :

ـــ صباح الخير يا (نديم) بك .. انا (جميل) .. سكرتير (قاسم بك عبيد) .

فحصه (نديم) بنظـــرة سريعة ، ثم اتجـــه يجلس خلف مكتبه ، وسأله :

ـــ لمـــاذا لم يأت (قاسم عبيد) بنفسه ؟

ابتسم (جميل) ابتسامة خبيثة ، وقال :

ـ الكبار لا يبدءون الخطوات الأولى يا (نديم) بك .

شبك (نديم) أصابع كفيه أمام وجهه ، وراح يتطلع إلى (جميل) فى برود ، ثم سأله بغتة :

ـ ما رأى رئيسك فى عرضى ؟

ظلت نفس الابتسامة الخبيثة على شفتى (جميل) ، وهو يجيب :

ـ لو أنك تقصد فكرة توريد البضاعة إلينا ، فالفكرة مقبولة ، ولكن ..

صمت لحظات ، فسأله (نديم) :

ـ ولكن ماذا ؟.. اينبغى أن اسجل اسمى فى سجل الموردين ؟

قهقه (جميل) ضاحكا ، وقال :

ـ دعابة طريفة يا (نديم) بك .

ثم تلاشى مرحه بغتة ، وأضاف فى جدية :

ـ ولكن مثل هذه الأمور تعتمد على عدة نقاط .

سأله (نديم) :

ـ مثل ماذا ؟

استعاد (جميل) تلك الابتسامة الخبيثة ، وهو يقول :

ـ مثل سعر البضاعة ، ونوعيتها ، وطريقة السداد .

مرت لحظة من الصمت ، وكأنما يزن (نديم) الأمر فى رأسه ، ثم سأل (جميل) :

ـ هل زعيمك رجل شريف ؟

أجابه (جميل) فى حماس :

ـ إنه رجل شريف للغاية .

بدا الجواب ساخرا مضحكا ، بالنسبة لـ (نديم) ، إلا أنه لم يبتسم ، وهو يلقى سؤاله التالى :

ـ أتعنى أنه رجل مضمون ؟

أجابه (جميل) بنفس الحماس :

ـ نعم .. مضمون تماما .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم قال (نديم) :

ـ اسمع يا (جميل) .. أبلغ رئيسك أننى أرغب فى إتمام هذه الصفقة فى خلال يومين فحسب ؛ لأننى سأغادر البلاد بعدها ، وأريد إتمام كل الإجراءات المطلوبة فى هذه الفترة .

ثم فتح درج مكتبه ، والتقط منه كيسا صغيرا ، يمتلىء بالمسحوق الأبيض ، ألقاه نحو (جميل) ، مستطردا :

ـ هذه هى العينة المطلوبة ، أما السعر ، فها هو ذا .

خط الرقم على ورقة صغيرة ، ودفعها أمام عينى (جميل) ، وهو يضيف فى حزم :

ـــ وهـــذا يعنى أن الصفقة كلهـــا تساوى مليونين من الجنيهات ، يتم دفعهما نقدا وعدا ، عند تسلم البضاعة .

رفع (جميل) حاجبيه فى دهشة ، وهو يطالع الرقم ، الذى

خطه (نديم) على الورقة ، ثم لم يلبث ان اخفى دهشته ، ودس الورقة فى جيبه ، وابتسم قائلا :

ـــ لا بأس يا (نديم) بك .. انتظر رد الزعيم الليلة .

اجابه (نديم) فى صرامة :

ـــ بل بعد ساعتين لا اكثر .

تطلع إليه (جميل) فى دهشة ، فتراجع (نديم) فى مقعده ، وسأله :

ـــ هل تعتبر هذا نوعا من الضغط ؟

ابتسم (جميل) ، وقال فى هدوء :

ـــ لا : لا توجد اية ضغوط .

ثم نهض مستطردا :

ـــ لا بأس يا (نديم) بك .. سيأتيك الجواب بعد ساعتين.

وصافحه فى قوة ، ثم انصرف ..

وعلى الرغم من أن وجه (نديم) ظل جامدا ، إلا أن عينيه قد حملتا ابتسامة واســـعة ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويتجه إلى حجرة (غادة) المجاورة ..

وابتسمت (غادة) ، عنـــدما رأته يدلف إلى حجرتهـــا ، وقالت :

ـــ كان حديثك معه رائعا .

أومأ برأسه فى حركة هادئة ، وسألها :

ـــ هل سجلت المحادثة كلها ؟

ابتسمت قائلة :

ـــ كل حرف منها .

ثم أضافت مشيرة إلى جهاز الكمبيوتر :

ـــ وسيقوم الكمبيوتر بالباقى وحده .

هز كتفيه ، وقال :

ــ إنه عصر التكنولوچيا بالتأكيد .

وشرد بصره ، وهو يضيف :

ــ وسنرى من سيربح المعركة هذه المرة .. التكنولوچيا أم تلك المملكة ..

مملكة الشر .

* * *

٦ ــ وبدأت اللعبة ..

التقطت عينا مراقب المنطقة ، الذى يعمل لحساب تجار المخدرات فى (الباطنية) ، سيارة الشرطة ، التى دخلت إلى الحى فأطلق صفيرًا مميزا ، نقله مراقب ثان إلى ثالث ، وأطلقه الثالث فى قلب الحى ، معلنا وصول سيارة الشرطة ، فتحرك الجميع فى سرعة ، واختفت آثار المخدرات فى دقائق ، قبل أن تقتحم السيارة قلب السوق ، وتتوقف أمام متجر (قاسم عبيد) مباشرة ..

لم يكن داخل السيارة سوى رجل واحد ، هو العقيد (مجدى) ، الذى غادر السيارة فى حركة حادة ، وأدار عينيه فى أهل الحى فى صرامة ، قبل أن يركزهما على وجه (قاسم) ، ويقول فى خشونة :

ــ أنت (قاسم عبيد) .. أليس كذلك ؟

التقط (قاسم) نفسا عميقا ، من مبسم نرجيلته الطويل ، ونفثه فى الهواء ، قبل أن يقول فى استهتار :

ــ بلى .. أنا (قاسم عبيد) .. هل من خدمة يمكننى تقديمها ؟

أمسكه (مجدى) من قميصه بغتة ، وأجبره على النهوض فى عنف ، وهو يقول فى غضب صارم :

ــ انهض عندما تتحدث إلى .

تحفز (جميل) لحظة ، ثم لم يلبث ان تذكر أن هـذا الذى يهين زعيمه رجل شرطـة ، فتراجع فى توتر ، فى حين قـال (قاسم) فى هدوء :

ـ لقد نهضت بالفعل .. ماذا تريد منى بالضـبط ايهـا العقيد ؟

حدق (مجدى) فى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ اريد ان ارى كبير تجار السموم فى المنطقة ؟

ابتسم (قاسم) فى سخرية ، وقال :

ـ وما شأنى انا بهذا ؟

جذبه إليه (مجدى) مرة ثانية فى عنف ، وقال :

ـ اسمع يا رجل اسمعنى جيدا .. إننى ابغض تجـار المخدرات ، واعلم انه ما من دليل لإدانتك حتى الآن ، ولكننى سأعثر على هذا الدليل يوما .

قال (قاسم) ، دون أن يفارقه هدوءه :

ـ يلوح لى انك قد اخطات هدفك أيها العقيد .

اجابه (مجدى) فى حدة :

ـ لا .. لم افعل .

ثم دفعه فى غلظة ، واعاده إلى مقعده ، واستدار يهم بالانصراف ، إلا انه لم يلبث ان التفت إليه ، قال فى حدة :

ـ قل لى يا رجل : لقد بلغنى ان شحنة من الهيروين النقى ، تبلغ عشرة كيلوجرامات قد دخلت البلاد منذ أيام .. ما معلوماتك عنها ؟

قال (قاسم) فى برود :

ـ لست أعلم عنها شيئا .

رمقه (مجدى) بنظرة نارية ، ثم قفـز داخل سـيارة الشرطة ، وانطلق بها مبتعدا ، وهنا هتف (جميل) فى حدة :

ـ إنه ضابط مغرور .

ابتسم (قاسم) وقال :

ـ ولكنه افادنا كثيرا .

تطلع إليه (جميل) فى دهشة ، وقال :

ـ كيف ؟

اجابه (قاسم) مبتسما :

ـ لقـد اخبرنـا بأمر الكيـلوجرامات العشرة ، التى ادخلها (نديم فوزى) إلى البلاد ، وهذا يعنى أن الصفقة موجودة بالفعل .

ثم مد يده إلى (جميل) ، مستطردا :

ـ أرنى العينة .

ناوله (جميل) كيس المسحوق الصغير ، فمزق (قاسم) طرفه ، وسكب القليل منه على سبابة ، ثم تذوقه بطـرف لسانه فى حذر ، وابتسم قائلا :

ـ إنه نوع نقى رائع .

ثم أعاد الكيس إلى (جميل) ، مستطردا :

ـ والسعر جيد جدا .

هتف (جميل) :

ـ بل هو ممتاز .. لقد ادهشنى للغاية .

ثم انعقد حاجباه دون سبب واضح ، وهو يضيف :

ـــ فى رأيى أنها صفقة رائعة يا زعيمى .. سنربح منهـا مليون جنيه على الأقل .

أومأ (قاسم) برأسه موافقا ، وقال :

ـــ هذا صحيح .

ثم اعتدل قائلا فى حسم :

ـــ سنتم الصفقة الليلة .

هتف (جميل) فى دهشة :

ـــ الليـــلة ؟!

التقط (قاسم) نفسا من مبسم نرجيلته ، وقال :

ـــ نعم .. الليلة .. ألم تقل إن (نديم) هـــذا يرغب فى إتمام الصفقة بسرعة .

غمغم (جميل) فى تردد :

ـــ نعم .. ولكن ..

قاطعه (قاسم) فى حزم :

ـــ لا يوجد لكن .. إنها صفقة رائعـــة ، ولن اضـــيع الوقت ، خشية أن يجد (نديم) هذا مشتريا آخر .

هز (جميل) كتفيه مستسلما ، وقال :

ـــ كما تأمر يا زعيمى .

ابتسم (قاسم) فى سعادة ، لهذه الصفقة الجيدة ، نفث دخان النرجيلة فى الهواء ، ثم قال :

ـــ اذهب إلى (نديم) هـــذا ، وأخبره أننى أوافق على إتمام الصفقة الليلة .

نهض (جميل) ، قائلا :

ـــ سأفعل يا زعيمى .

لم يدرك لحظتها أنه يلعب نفس اللعبة ..

لعبة (العقرب) ..

* * *

أطلقت (غادة) زفرة قوية ، من أعماق صدرها ، وهى تدلف إلى مكتب (نديم) ، وهتفت وهى تلقى إليـــه حقيبـــة صغيرة :

ـــ ها هو ذا .

التقط (نديم) الحقيبة ، فى حين ألقت هى جسدها على أول مقعد صادفها ، وهى تقول فى حدة :

ـــ لم أشعر بمثل هذه التوتر فى حياتى كلها .

فتح (نديم) الحقيبة ، وتطلع إلى أكيـــاس المســـحوق الأبيض داخلها ، وقال فى اهتمام :

ـــ أهو هيروين نقى ؟

أجابته فى حدة :

ـــ نعم .. من أنقى أنواع الهيروين ، ولكننى لم أتصور نفسى أبدا فى مثل هذا الموقف .. تصور أن أذهب إلى تاجر مخدرات ، وأبتاعَ نصف كيلو جرام من الهيروين !!.. ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو ألقى القبض على ، وأنا أحمل هذه الحقيبة .

لم يجب على الفور ، وإنما أعاد إغلاق الحقيبة فى إحكام ، وقال :

ـــ من حسن الحظ أن هذا لم يحدث .

هتفت معترضة :

ـــ أهذا كل ما أمكنك قوله ؟

لمحت على شفتيه شبح ابتسامة ، لم يلبث أن تلاشى بسرعة ، فأطلقت زفرة أخرى ، وغمغمت فى سخط :

ـــ من أسوإ الأمور أن تعمل إمرأة مع رجل ، لا يشعر أنها كذلك .

ثم اعتدلت وسألته :

ـــ أين ستحتفظ بهذه الحقيبة ؟

أجابها فى بساطة :

ـــ هنـــا .

هتفت فى دهشة :

ـــ هنـــا ؟!.. ماذا لو استغل (مجدى) الموقف ليوقع بك ؟.. أليس من المحتمل أن تجده يقتحم المكتب الآن ، على رأس وحدة كاملة من وحـــدات إدارة مكافحة المخدرات ، ويضبط الهيروين ، و ...؟

قاطعها فى هدوء :

ـــ لن يفعل .

صاحت :

ـــ عجبا !!.. هل تثق به إلى هذا الحد ؟

تطلع إليها لحظة فى صمت ، وقال :

ـــ (مجدى) رجل شريف ، وهـــو لن يوقع بى بتهمـــة زائفة .

قالت فى حدة :

ـــ ولكنه مستعد لدفع نصف عمره للإيقاع بك .

اعتدل فى مقعده ، وقال فى هدوء :

ـــ لأنه يتصور أن عملى فى شخصية (العقرب) يخالف القانون .

حدقت فيه بدهشة ، ثم لم تلبث أن لوحت بكفها ، وقالت فى حدة :

ـــ فليكن .. إنك تمنح (مجدى) ثقة لا يستحقها فى رأيى ، فأنا لا أثق به قط .

تراجع (نديم) ، وقال فى بساطة :

ـــ ولكنه لا يعلم بأمر وجود الهيروين هنا .

هتفت فى دهشة :

ـــ ألم تخبرنى أنه يعلم كل تفاصيل الخطة ؟

لوح بكفه قائلا :

ـــ ليس كلها .

ابتسمت ابتسامة كبيرة ، لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة عالية ، وهى تقول :

ـــ هذا هو السبب الحقيقى إذن .

لم تكد تتم عبارتها حتى سمع الاثنـــان دقات هادئة على الباب ، فوضع (نديم) الحقيبة جانبه ، وقال :

ــ ادخل يا عم (أحمد) .

دخل عم (أحمد) إلى الحجرة ، وقال فى ضيق :

ــ لقد عاد ذلك الرجل يا أستاذ (نديم) ، وهو يطلب مقابلتك .

قال (نديم) فى هدوء :

ــ دعه يدخل .

تراجع عم (أحمد) ، وافسح فى الطـــريق لـ (جميل) ، الذى اندفع داخل الحجرة ، ومد يـــده عن آخرها ليصافح (نديم) ، وهو يقول :

ــ صباح الخير مرة أخرى يا (نديم) بك .. إننى ..

بتر عبارته فى حدة ، عندما وقع بصره على (غادة) ، التى ابتسمت فى سخرية ، فانعقد حاجباه ، ارتسمت على ملامحه البغضاء ، وقال (نديم) فى هدوء :

ــ لا تقلق .. إنها زميلتى الآنسة (غادة) .

غمغم (جميل) فى حنق :

ــ لقد سبق ان التقينا .

ضمت (غادة) قبضتها ، وقالت فى سخرية :

ــ وكان لقاء عنيفا .

انقبضت قبضتا (جميل) فى تحفز ، وتقـــافز الغضب من عينيه ، فأسرع (نديم) يسأله :

ــ هل تحمل رد رئيسك .

التفت إليـــه (جميل) ، ولانت ملامحه بغتة ، وتراخت قبضتاه ، وأجاب :

ــ نعم .

أشار إليه (نديم) بالجلوس ، وهو يقول فى بساطة :

ــ وما رده ؟

جلس (جميل) ، وأجاب فى تعال :

ــ لقد وافق على إتمام الصفقة الليلة ، وسيدفع المبلغ نقدا ، فى الساعة الـ ...

قاطعه (نديم) فى هدوء :

ــ اترك لنا تحديد هذا .

انعقد حاجبا (جميل) ، وهو يقول فى حدة :

ــ لن يسمح الزعيم بهذا .. إنه لن يثق بكما مثلى ، و..

قاطعه (نديم) مرة اخرى فى هدوء :

ــ اطمئن .. انت نفسك ستخبر الزعيم بالترتيبات .

ولكن (جميل) لم يشعر بالارتياح ، وهو يتطلع إلى عينى (نديم) ..

كان هناك نظرة غامضة مخيفة فى عينى (نديم) ..

نظرة عقرب ..

* * *

٧ ــ الخدعة ..

ارتفع رنين الهاتف ، فى متجر (قاسم عبيد) ، فالتقط (قاسم) سماعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، قائلا فى لهفة :

ــ من المتحدث ؟

أتاه صوت هادىء رصين ، يقول :

ــ أنا (نديم) .. (نديم فوزى) .

ارتبك (قاسم) لحظة أمام المفاجأة ، ثم قال :

ــ وماذا تريد يا (نديم) بك ؟

أجابه (نديم) فى هدوء :

ــ إننى أتحدث إليك بشأن صفقتنا الـ ...

قاطعه (قاسم) فى حدة :

ــ انتظر يا (نديم) بك .

ساد الصمت تماما ، على الجانب الآخر للهاتف . فاستطرد فى لهفة قلقة :

ــ ضع سماعة الهاتف يا (نديم) بك ، وسأتصل بك أنا .

سمع صوت سماعة الهاتف توضع ، ثم أعقب هذا صوت الأزيز المتصل للهاتف ، فأعاد سماعته إلى موضعها بدوره ، وهو يغمغم :

ــ شديد الالتزام هو (نديم) هذا .

واتجه إلى حجرة مكتبه ، وفتح درج المكتب ، والتقط منه سماعة هاتف سرى ، وضغط أزرار رقم مكتب (نديم) ، وهو يتابع :

ـ من حسن الحظ اننى حصـــلت على رقم هاتف ذلك المحامى .

سمع صوت رفع سماعة الهاتف من الطرف الآخر ، فقال :

ـ مرحبا يا (نديم) بك .. معذرة .. خشيت ان يكون هذا الهاتف مراقبا ، ولهذا اتحدث إليك من هاتف آخر .

قال (نديم) بهدوئه المعهود :

ـ انت واثق ان هذا الهاتف الآخر غير مراقب ؟

ابتسم (قاسم) ، وقال :

ـ بالتأكيد .. إنه خط خاص ، ولقد دفعت ثروة ، من اجل الحصول عليه .

ثم تلاشت ابتسامته ، وذابت مع جديته وقلقه ، وهـــو يستطرد :

ـ ولكن ماذا تريد بشأن الصـــفقة يا (نديم) بك ؟.. الم يصل (جميل) بعد ؟

أجابه (نديم) :

ـ لقد وصل ، ولكننى اريد إتمام الصفقة فى مكان آخر ، وبحضورك شخصيا .

عقد (قاسم) حاجبيه ، وامتلأت نفسه بالشك ، وهو يجيب فى حذر :

ـ ولمـــاذا حضورى شخصيا ؟

أجابه (نديم) فى برود ، لا يخلو من الصرامة :

ـ لاننى اعتبر نفسى زعيما ، ولست احب التعامل شخصيا إلا مع الزعماء .. ثم إننا لم نلتق من قبـــل ، والمفروض ان يتعارف من يتعاملون معا ، فى مثل هذا النوع من البضائع .

بدت كلماته مقنعة إلى حد ما ، فغمغم (قاسم) :

ـ انت على حق .

ثم عادت الريبة تملأ نفسه ، فاستطرد بنفس الحذر :

ـ ولكن اين هذا المكان ، الذى تريد أن نلتقى فيه ؟

أجابه (نديم) :

ـ قيلتى فى (الهرم) .

ردد (قاسم) فى دهشة وشك .

ـ قيلتك ؟!

قال (نديم) فى بساطة :

ـ نعم .. إنها مكان مأمون ، وهى ليست مسجلة باسمى، ثم إن لها قبوا سريا ، يصـــلح للاختبـــاء ، إذا ما داهمتنـــا الشرطة ، كما يصلح لإخفاء البضاعة وقت اللزوم .

قال (قاسم) فى حذر :

ـ ومن ادراك انها ليست مراقبة ؟

سأله (نديم) :

ـ أخبرنى انت : لمـــاذا لم تفترض أن هاتفى مراقب ؟

أجابه (قاسم) :

ـ لانك وجه جديد على الساحة ، ولا يوجد مبرر لمراقبة هاتفك .

اتاه صوت (نديم) باردا كالثلج ، وهو يقول :

ـــ وهذا هو الجواب نفسه ، بالنسبة لمراقبة الڤيلا .

حملت اسلاك الهاتف صمتا طويلا ، استغرق دقيقة كاملة من الطرفين ، قبل ان يقول (قاسم) فى قلق :

ـــ لو ان (جميل) استطاع رؤية الڤيلا اولا ، فـ ..

قاطعه (نديم) :

ـــ لقد رآها ، وها هو ذا يجلس معى ، فانا اتحدث إليك فى وجوده .

تمتم (قاسم) فى دهشة :

ـــ فى وجوده ؟!

ثم اضاف فى دهاء :

ـــ دعنى اتحدث إليه إذن .

سمع صوت (نديم) ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ إنه يريد أن يتحدث إليك يا (جميل) .

مضت لحظة من الصمت ، ثم سمع صوت (جميل) يقول :

ـــ انا (جميل) .

ميز صوته فى وضوح ، فساله فى همس :

ـــ قل لى : هل يجبرك هذا الرجل على التحدث إلى ، أو قول شىء يخالف الحقيقة ؟

أتاه صوت (جميل) ، يقول فى هدوء :

ـــ لا .. لا توجد اية ضغوط .

كانت اللهجة التى يتحدث بها مطمئنة حقا ، مما بعث الكثير من الارتياح فى نفس (قاسم) ، فاعتدل فى مقعده ، وسـأل مساعده فى اهتمام :

ـــ اخبرنى يا (جميل) ، هل تظن أن (نديم فوزى) هذا أهل للثقة ؟

سمع صوت (جميل) ، يقول فى حماس :

ـــ إنه رجل شريف للغاية .

سأله :

ـــ وماذا عن الڤيلا ؟.. هل يبدو لك المكان آمنا ؟

وبنفس الحماس ، سمع (جميل) يقول :

ـــ نعم .. مضمون تماما .

تنهد (قاسم) فى ارتياح ، وقال :

ـــ فليكن .. دعنى اتحدث مع (نديم) بك .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، ثم سمع صوت (نديم) يقول :

ـــ حسنا .. هل اتخذت قرارك ؟

سأله (قاسم) :

ـــ متى تحب إتمام الصفقة يا (نديم) بك ؟

أجابه (نديم) :

ـــ فى السابعة مساء .. مع غروب الشمس .. سأخبرك عنوان الڤيلا .

استمع إليه (قاسم) فى اهتمام ، ثم قال :

ــ فليكن يا (نديم) بك .. ساحضر فى الموعد تماما ومعى المبلغ .

أنهى الاتصال ، وصمت لحظات ، وهو يحك ذقنه بسبابته ، ثم لم يلبث ان فتح درجا آخر فى مكتبه ، والتقط منه مسدسا من نوع (البريتا) ، جذب مشطه ، ليتاكد من حشوه ، ثم دسه فى جيبه ، متمتما :

ــ الحذر واجب ، فى مثل هذه الامور .

وتحسس المسدس الراقد فى جيب سترته ، وكأنما يحاول أن يستمد منه شعورا بالأمان ، إلا أن شيئا ما فى أعماقه كان يشعر بالقلق ..

وبالخوف ..

* * *

استنشقت (غادة) الهـواء فى عمق ، فى شرفة فيـلا (الهرم) ، وأغلقت عينيها فى استمتاع ، ثم التفتت إلى (نديم) تقول :

ــ ما امتع الهواء هنا !! الا يبدو لك المشـهد والجـو رائعين ؟

قال فى هدوء :

ــ إلى حد ما .

هتفت مستنكرة :

ــ إلى حد ما ؟!.. الم تعد تستمتع بالجمال ؟.. انظـر مرة أخرى يا رجل ، وحاول ان ...

قاطعها فى ضجر :

ــ الوقت والظروف لا يناسبان هذا .

مطت شفتيها ، قائلة :

ــ ربمـا .

ثم زفرت فى ضيق ، وسألته :

ــ كم بقى من الوقت ، قبل وصول (قاسم) ؟

تطلع إلى ساعته ، واجاب :

ــ خمس دقـائق فقط .. هـذا لو انه ممن يلتزمـون بمواعيدهم .

تطلعت إلى الطريق ، وقالت :

ــ يبدو انه كذلك .. ها هو ذا .

نظر إلى حيث تتطلع هى ، ورأى سيارة (قاسم) تقترب

بسرعة ، فقال فى اقتضاب ، حمل شـيئا من الحماس الذى يملأ عروقه :

ــ عظيم .

واضافت (غادة) ، وهى تسبل جفنيها فى تراخ :

ــ كل شىء يسير على ما يرام .

توقفت ســيارة (قاسم) (المرسيدس) الحمراء امــام الڤيلا ، وهبط هو منها فى حذر ، وتلفت حوله ، قبل ان يلتقط حقيبته ، ويتجه نحو الڤيلا ، حيث استقبله (نديم) ، وصافحه فى هدوء ، قائلا :

ــ أهلا بك فى الڤيلا يا سيد (قاسم) .

ابتسم (قاسم) فى خبث ، هو يقول :

ــ أهلا بك انت فى عالمنا يا (نديم) بك .

قاده (نديم) إلى ردهة الڤيلا ، جلس الاثنان على مقعدين متقابلين ، واشعل (قاسم) سيجارته ، وهو يقول :

ــ هل البضاعة جاهزة ؟

أشار (نديم) إلى حقيبة كبيرة ، وقال :

ــ ها هى ذى .

هم (قاسم) بالنهوض من مقعده ؛ لإحضار الحقيبة ، ولكن (نديم) ساله فى حزم :

ــ وماذا عن المــال ؟

دفع (قاسم) حقيبته إلى (نديم) ، وقال :

ــ ها هو ذا .

التقط (نديم) الحقيبة ، وفتحها ، وتطلع فى لا مبالاة إلى أوراق النقد المكدسة داخلها ، ثم قال لـ (قاسم) :

ــ يمكنك أخذ الحقيبة .

نهض (قاسم) من مقعده ، وجذب إليه حقيبة (نديم) ، ثم انعقد حاجباه ، وقال فى حدة :

ــ هذه الحقيبة خفيفة الوزن .. من المستحيل أن تحوى الكمية كلها .

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

ــ بالتأكيد .. الكمية مقسمة على عدد من الحقائب ، كل واحدة تحــوى نصف كيلو جرام من المسحوق ، وستتبعك عربة تحمل الحقائب كلها .. هذه عينيه فحسب .

قال (قاسم) فى حدة :

ــ لمــاذا لا احصل على الكمية كلها ؟

تراجع (نديم) فى مقعده ، وقال :

ــ لانك مراقب ، كما سبق ان اخبرتنى يا (قاسم) ، ومن الخطر ان تحمل معك جراما واحدا من (الهيروين) .

ثم اشار إليه ، مستطردا فى لهجة آمرة :

ــ افحص الحقيبة التى تحملهــا يا رجل .. اطمئن إلى جودة البضاعة .

فتح (قاسم) الحقيبة ، والقى نظرة سريعة على المسحوق ، ثم أغلقها ، وابتسم قائلا :

ــ انا واثق بك يا (نديم) بك .. واهنئك على حــذرك الزائد هذا ، فهو افضل جواز للمرور والبقاء فى عالمنــا .

أومأ (نديم) برأسه فى وقار ، ثم ساله فى هدوء :

ــ الآن اصبح الهيروين ملكك ــ اليس كذلك ؟

ابتسم (قاسم) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ــ بلى .. كل الهيروين ملكى .

لم يكد يتم كلمته ، حتى برز (مجدى) من الحجرة المجاورة ، وصوب إليه مسدسه ، وهو يقول فى شماتة ظافرة :

ــ ساعتبر هذا اعترافا .

واتسعت عينا (قاسم) فى رعب ..

* * *

٨ ــ العقــارب ..

تجمدت أطراف (قاسم) ، واتسعت عينـــاه فى ذهول ، وتفجر بركان من الغضب والسخط فى أعماقه ، وهو يحدق فى وجه (مجدى) ومسدسه ، وكان يصرخ فى وجه (نديم) ، ويتهمه بخيانته وخداعـــه ، إلا أنه فوجىء بـ (نديم) يهب من مقعده ، ويهتف فى غضب :

ــ لقد خدعتنى يا (قاسم) .. أنت أوقعتنى فى قبضـــة الشرطة .

التفت إليه (قاسم) فى ذهول ، وهو يهتف :

ــ خدعتك ؟!.. أنا ؟!

ولكن (مجدى) ابتسم فى سخرية ، وقال :

ــ بل خدعه هاتفه السرى يا (نديم) .. لقد تصور أنه آمن من المراقبة ، فى حين كنت أنا اراقبه ، وعلمت منه موعد ومكان صفقتكما .

صاح (نديم) فى وجه (قاسم) :

ــ أرأيت أيها الغبى .. أرأيت ما فعله بنا غرورك .

غمغم (قاسم) فى ذهول :

ــ أنا .. أنا ..

إلا أنه لم يلبث أن دفع حقيبة الهيروين بعيدا عن صدره ، وهو يستطرد فى ارتياع :

ــ لا صلة لى بهذه الحقيبة أو محتوياتها .. إنها حقيبته .

قال (مجدى) فى صرامة :

ــ البصمات فوقها ستحدد صاحبها يا (قاسم) .

اتسعت عينـــا (قاسم) فى رعب ، وفـــرد راحتيه امام وجهه ، وراح يحدق فيهمـــا فى حنق ، ثم لم يلبث ان اخفى بهما وجهه ، وهو يهتف فى مرارة :

ــ اللعنة !

مزق صوت (مجدى) البقية الباقية من اعصابه ، وهـــو يقول فى شماتة :

ــ لقد وقعت يا (قاسم) .. انتهيت .. ستقضى ما تبقى من عمرك خلف القضبان .. او يلتف حبل المشنقة حـــول عنقك .

تحسس (قاسم) عنقه فى رعب هائل ، فى حين قال (نديم) فى حدة ، لا تتفق أبدا وشخصيته الهادئة الرصينة :

ــ لن اسمح بهذا ابدا .

التفت إليه (مجدى) ، وقال :

ــ لقد انتهيت انت ايضا يا (نديم) .. لمـــاذا اخترت هذا الطريق الشائك ؟.. كان من الممكن أن تحمل الآن رتبة المقدم، فى صفوف الشرطة ، لولا ...

قاطعه (نديم) فجاة فى حزم :

ــ كم تطلب يا (مجدى) ؟

سأله (مجدى) فى دهشة :

ــ ماذا تعنى ؟!

اجابه فى حدة :

ــ انت تعلم ان والدى واحد من اكبر مليونيرات (مصر) ، وهو لن يسمح ابدا بأن يلقى ابنه الوحيد فى غياهب السجون ، وانا واثق انه سيمنحك ثروة ضخمة ، لو انك تعاميت عمـــا رايته الآن .. ما رايك ؟

بدا التردد على وجه (مجـــدى) ، فانتعش امل محتضر فى اعماق (قاسم) ، وقال فى لهفة :

ــ انا ايضـــا مستعد لمنحك ما تطلب ، مقـــابل هذا .. ما رايك بربع مليون .. نصف مليون .. ماذا تطلب بالضبط ؟

أمسك (مجدى) ذقنه بسبابته وإبهامه ، وبدا وكأنه يفكر جديا فى هذا العرض ، إلا انه لم يلبث ان هز راسه فى شدة ، واستعاد صرامته ، وهو يقول :

ــ لا .. لا يمكننى قبول مثل هذه العروض .

قال (نديم) :

ــ لمـــاذا ؟.. إنك لن تربح من عملك فى الشرطة ، حتى نهاية عمرك ، ربع هذا المبلغ .

ثم اضاف فى صرامة :

ــ ثم إننـــا نستطيع تدمير مستقبلك ، حتى ونحن داخل السجن .

بدا القلق والتردد على وجه (مجدى) ، وقال :

ــ تدمير مستقبلى ؟!.. ما من تاجر مخدرات يمكنه تدمير مستقبل رجل شرطة .

وتضاعف القلق فى ملامحه ، وهو يستطرد :

ــ اليس كذلك ؟

لاحت فى قلقه بادرة امل لـ (قاسم) ، فاندفع يقول :

ــ من قال هذا ؟.. بالتأكيد يمكننا تدمير مستقبل اى ضابط شرطة .

هز (مجدى) راسه فى قلق ، وقال :

ــ لم يحدث هذا من قبل .

هتف (قاسم) :

ــ بل حدث .. انت تعرف قضية (إبراهيم علوان) .. لقد كنت احد شهودها .. فلتعلم إذن أننا نحن لفقنا له هذه التهمة .

خفض (مجدى) مسدسه ، وهو يهتف :

ــ انتم ؟!

اجابه (قاسم) فى حدة :

ــ نعم .. نحن .. لقد رشونا امين مخازن المضبوطات ، وجعلناه يوقع بالعقيد (إبراهيم) .

بدا (مجدى) حائرا متوترا بضع لحظات ، ثم لم يلبث ان رفع مسدسه مرة اخرى فى وجه (قاسم) ، وقال :

ــ لا .. لست اصدق هذا .

شعر (قاسم) أن فرصته الوحيدة فى النجاة هى إرهاب (مجدى) ، فقال فى حزم :

ــ إن لدى الدليل .

عقد (مجدى) حاجبيه فى شدة ، وقال :

ــ أنت كاذب .

وهنا اشار (نديم) إلى (قاسم) فى حزم ، وقال لـ (مجدى) :

ــ ماذا ستفعل إذن ، لو رايت الدليل على أن (قاسم) استطاع تدمير مستقبل (إبراهيم علوان) هذا ؟.. هل تكتفى بالمـــال ، وتتركنا نذهب إلى حال سبيلنا .

أجابه (مجدى) فى حسم :

ــ لن يكون امامى سوى هذا .

تهللت أسارير (قاسم) ، وهتف :

ــ لا بأس .

ثم دس يده فى جيب سرواله ، وأخرج منه شريطا صغيرا ، ناوله إلى (مجدى) قائلا :

ــ ها هو ذا الدليل .

التقط (مجدى) الشريط ، وقلبه بين أصابعه ، قائلا :

ــ ما هذا بالضبط ؟

اجابه (قاسم) :

ــ شريط ڤيديو من مقياس ثمانية مليمترات الجديد(*) ، ستجد فوقه تسجيلا بالصـــوت والصورة ، لـ (درويش) ، امين مخازن المضبوطات ، بمديرية أمن (القاهرة) ، وهـــو

(*) الفيديو (٨ مم) : نـوع جديد من أنظمة تسجيل واستعادة (الفيديو) ، تم ابتكاره عام ١٩٨٠م ، وهو صغير الحجم ، يستخدم شرائط مغناطيسية ، فى نفس حجم الشرائط المستخدمة فى أجهزة التسجيل الصوتية (الريكوردر) ، ويعتبر العلماء الصورة التى ستكون عليها كل أجهزة الفيديو فى المستقبل .

يروى ما فعله بالهيروين ، والوسيلة التى الصق بها التهمة بالعقيد (إبراهيم) ، ثم وهـــو يتسلم الجـــزء الثـــانى من الرشوة .. لقد كنت احتفظ بهذا الشريط ، لضمان صـــمت (درويش) ، ولكنه حقق فائدة أخرى .

ابتسم (مجدى) ، وقال وهو يدس الشريط فى جيبه :

ـــ بالتاكيد يا (قاسم) .. لقد حقق فائدة لن نتصورها ابدا .

ثم التفت إلى (نديم) ، وقال :

ـــ اليس كذلك يا صديقى ؟

تفجر الذهول فى أعماق (قاسم) ، مختلطا بغضب لا حدود له ، عندما استعاد (نديم) كل هدوئه ، وجلس فى بساطة ، قائلا :

ـــ بالتاكيد يا عزيزى (مجدى) . .لقد نجحت اللعبة .

ردد (قاسم) فى ذهول :

ـــ اللعبة ؟!

ثم انهار على مقعده ، مستطردا :

ـــ إذن فكل هذا مجرد لعبة ؟!.. خدعة للحصـــول على الشريط ؟

أجابه (نديم) فى بساطة :

ـــ هذا صحيح .

راح (قاسم) ينقل بصره بين وجهى (نديم) و (مجدى) فى ذهول ، ثم هتف :

ـــ ولكن كيف ؟.. لقد تحريت عنك جيدا !!

أجابه (مجدى) :

ـــ كل المعلومات التى حصلت عليها ، بشأن (نديم) ، سليمة .. فلقد فصل من خدمة الشرطة بالفعل .

لم يستطع (قاسم) استيعاب هـــذه النقطة فى سهولة ، فهتف :

ـــ ولكن ماذا عن (جميل) ؟.. لقد أخبرنى بنفســـه أن الفيلا آمنة ، وهو شديد الدقة فى مثل هذه الأمور ، و ...

قاطعه (نديم) فى هدوء :

ـــ هذا لو انه فعل .. الواقع اننـــا قد افقدنا مساعدك (جميل) وعيه ، عندما جاء لزيارتنا ، فى المرة الثانية ، وتم نقله مباشرة إلى زنزانة خاصة ، فى قبو مديرية الأمن ، مع (درويش) .

هتف (قاسم) :

ـــ مستحيل !.. لقد تحدثت إليه بنفسى هاتفيا .

هز (نديم) كتفيه ، وقال :

ـــ هنا يأتى دور التكنولوجيا يا رجل ، فعندما جاء (جميل) إلى مكتبى ، فى المـــرة الأولى ، سجلت زميلتى (غادة) كل حديثى معه ، وبعدها اضافت التسجيل إلى الكمبيوتر ، ولقنته المعلومات الخاصة بما ننتوى فعله ، وعندما تحدثت أنت ، وطلبت التحدث مع (جميل) ، أوصـــلت (غادة) الهـــاتف بالكمبيوتر ، الذى انتقى من عبـــارات (جميل) المســـجلة ما يتوافق مع خطتنا ، ونقله إليك ، فتصورت أنت انك تتحدث

إلى مساعدك ، واطمأن قلبك بشـــأن الحضور إلى هنـــا ، فوقعت فى الفخ كالغر الساذج .

غمغم (قاسم) فى مرارة :

ــ نعم .. كالغر الساذج .

وفجأة وثبت يده إلى سترته ، وانتزعت مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

ــ ولكن هذا لن يدوم طويلا .

وأطلق النار ..

* * *

٩ ــ الختام ..

من المؤكد أن (قاسم) لم يحصل على لقب زعيم تجـــار المخدرات عبثا ، فلقد انتزع مسدسه فى سرعة ، وأطلق منه النار نحو (مجدى) ، قبل أن يتخذ هذا الأخير ما يلزم ، لصد الهجوم ..

وأصابت رصاصة (قاسم) ذراع (مجدى) ، الذى أطلق

صرخة ألم مكتومة ، لم تلبث أن تحولت إلى سباب ساخط ، عندما سقط مسدسه من يده ..

وبحركة حادة سريعة ، قفز (قاسم) إلى الخلف ، وصوب مسدسه إلى (نديم) و (مجدى) ، وهو يهتف :

ــ انتهت اللعبة يا سادة .. ولغير صالحكما .

لم يبد الخوف على وجه (نديم) ، الذى ظل هادئا ، وهو يجلس على مقعده ، قائلا :

ـ اتتصور هذا حقـــا ؟

أجابه (قاسم) فى شراسة :

ـ نعم .. أتصـوره .. لقد خدعتمانى للحصـــول على الشريط ، ولكننى سأستعيده من بين أشـــلائكما ، قبـــل أن أنصرف من هنـــا .

قال (نديم) فى بساطة :

ـ أتظن أننا هنا وحدنا ؟

اطلق (قاسم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ نعم .. اظن هذا ، فمن الواضح انكما قد فعلتما كل هذا وحدكما ، دون أوراق قانونية ، أو خطة مدروسة .

عض (مجدى) شفتيه ؛ ليكتم آلام جرحه ، وهو يقول :

ـ خطأ ايها الوغد .. إننا هنـــا بإذن خاص من النـــائب العام ..وكل ما حدث هنا مسجل ، بالصـــوت والصورة ، تسجيلا قانونيا سليما ، سيلقى بك خلف القضبان إلى الأبد .

تلفت (قاسم) حوله فى انزعاج ، وهتف :

ـ انت كاذب .

ثم جذب إبرة مسدسه فى شراســـة ، وهـــو يصوبه إلى (مجدى) ، صارخا :

ـ أنتما وحدكما هنا .. اعلم انكما كذلك .

انبعث من خلفه فجأة صوتا انثويا ساخرا ، يقول :

ـ إذن فلست من أنصـــار المساواة ، بين الرجل والمراة يا صاح .

استدار (قاسم) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، ولكن قـــدم (غادة) اســـتقبلته وأطاحت بمسدسه ، ثم تبعتهـــا قبضتها ، التى غاصت فى معدته ، وبطلتنا تقول ساخرة :

ـ ما رايك يا زعيم أهل السم ؟.. هل تؤلمك قبضتى ؟

انثنى (قاسم) من قوة الضربة ، وسقط أرضا ، وانزلق جسده فوق الأرض الناعمة لمترين كاملين ، فى حين اعتدلت (غادة) ، وقالت :

ـ لم اسمع جوابك بعد .

ولكن (قاسم) كان قد سقط إلى جوار مسدسه ، فأسرع يلتقطه هاتفا فى غضب هادر ، وثورة عارمة :

ـ ها هو ذا ايتها المغرورة .

وانطلقت رصاصة ..

* * *

كل شىء حدث فى سرعة مدهشة ..

التقط (قاسم) مسدسه ، صوبه إلى (غادة) :

وضغطت يده الزناد ..

ولكن هناك سطر مفقود ، بين السطرين السابقين ..

وحدث مفقود ..

فما بين تصويبه للمسدس ، وضغطه للزنـــاد ، تحـــرك (نديم) ..

كانت قفزته رشيقة ، أنيقة ، مرنة ، انزلق فيهـا جسده بدوره على الأرض الناعمة ، حتى بلغ مسدس (مجدى) ، فالتقطه ، وأطلق منه النار فى سرعة مذهلة ، نحو (قاسم) ..

وأصابت الرصاصة (قاسم) فى كتفه ..

وانطلقت من أعماقه صرخة الم ..

ومع صرختـــه ، انطلقت الرصاصة ، ولكنهـا اخطأت طريقها ..

ولم تصب (غادة) ..

وبحركة سريعة ، قفزت (غادة) نحو (قاسم) ، وركلته بحذائها فى وجهه ، وهى تقول :

ـــ إنك وغد بحق .

وارتطم رأس (قاســـم) بالحائط خلفه ، وكانت الضربة قوية ، حتى أن عينيه قد دارتا فى محجريهما ..

ثم سقط فاقد الوعى ..

ونهض (نديم) ، وهو يسرع نحو (مجدى) ، قائلا :

ـــ أانت بخير ؟

مط (مجدى) شفتيه ، وقال :

ـــ إنه لا يحسن التصويب .

ثم اضاف فى حدة :

ـــ أتعلم أننى أستطيع إلقاء القبض عليك ، لإطلاقك النار من مسدس ، وأنت لا تحمل رخصة حمل سلاح ؟

أطلقت (غادة) ضحكة عالية ، وقالت :

ـــ يا إلهى !!.. (مجدى) هـــو (مجدى) .. لا يتغير أبـــدا .

اعتدل (مجدى) جالسا ، وهو يمسك جرحه ، قائلا :

ـــ لست أميل إلى التغيير .

ثم تطلع إلى (نديم) ، وأضاف :

ـــ ولكن خطتك كانت عبقرية بالفعل يا (نديم) .

جلس (نديم) إلى جواره ، وقال فى بساطة :

ـــ إنها خطة (العقرب) .. لا خطتى أنا ، وإن كان قـــد استعان بى لتنفيذها .

عقد (مجدى) حاجبيه فى ضيق ، وقال :

ـــ أما زلت تصر على مواصلة هذه اللعبة ؟

قال (نديم) فى هدوء :

ـــ أية لعبة تقصد يا عزيزى ؟

هتف (مجدى) فى حدة :

ـــ اللعنة !

ثم لوح بسبابته فى وجه (نديم) ، مستطردا :

ـــ اسمع يا (نديم) .. صحيح أننى قد قبلت العمل مع (العقرب) هذه المرة ، ولكن هـــذا لا يعنى أننى أوافق على أسلوبه ، ولتعلم أننى ..

قاطعته (غادة) :

ـــ ستوقع به يوما متلبسا .. أليس كذلك ؟.. لقد سئمت

سماع هذه العبارة يا عزيزى (مجدى) .. الا تميل إلى التغيير فيها أيضا ؟

عقد (مجدى) حاجبيه فى غضب ، وأشاح بوجهه ، قائلا فى سخط :

ـــ سيأتى ذلك اليوم حتما .. أعلم انه سيأتى ..

* * *

انصرف كل رجال الشرطة من ڤيلا (الهرم) ، بعد ان أتموا استجواباتهم ، وضمدوا جراح (مجدى) ، فتنهدت (غادة) ، وقالت وهى تلقى جسدها فوق مقعد وثير فى شرفة الڤيلا :

ـــ يا إلهى !.. لقد انتهت هذه القضية بسرعة .

غمغم (نديم) فى هدوء :

ـــ هذا صحيح .

استنشقت الهواء فى عمق ، ثم التفتت إليه ، تسأله بغتة :

ـــ ولكن اخبرنى .. كيف علمت أن (قاسم) هو من وراء كل هذا ؟.. وكيف أدركت انه يحتفظ بدليل يدين (درويش) ؟

أجابها فى استرخاء :

ـــ معرفتى ان (قاسم) وراء كل هذا كان مجرد رمية من غير رام ، ونقنى إليهـــا المولى (عز وجل) ، فلقد علمت من التحريات انه زعيم تجـار السموم ، وقدرت انه من الطبيعى أن يكون الزعيم نفسه وراء مثل هذا العمل .. أما بالنسبة لوجود الدليل ، فخبرتى فى التعامل مع هؤلاء المجرمين علمتنى

أن الكبار منهم يحبون أن يحتفظون بالخيوط فى أيديهم دائما ، ولما كان من المحتمل ان ينقلب عليهم (درويش) ، ويفضـــح سرهم ، فمن الطبيعى أن يحتفظـــوا بدليل يدينه ، ويلزمه بالصمت .

ابتسمت وهى تقول :

ـــ أنت داهية .

غمغم :

ـــ شكرا لك .

ران عليهما الصمت لحظة اخرى ، ثم سألته :

ـــ هذه الڤيلا ملك لوالدك .. اليس كذلك ؟

تمتم فى تراخ :

ـــ بلى .

قالت :

ـــ هل وجودها هنا يرتبط بـ ..

قاطعها فى حزم :

ـــ اصمتى يا (غادة) .

هتفت فى دهشة :

ـــ اصمت ؟!

لوح بكفه أمامه ، وقال :

ـــ الا تلاحظين المشهد الرائع ؟!.. إنه يصنع مع الجـــو مزيجا مدهشا .

هتفت فى دهشة :

ـــ أأنت الذى يلاحظ هذا ، بعد كل ما حدث ، و..

قاطعها :

ــ هل فقدت القدرة على الاستمتاع بالجمال ؟!

صاحت مستنكرة :

ــ انا ؟!

ثم أشاحت بوجهها ، وعقدت حاجبيها وساعديها ، مستطردة فى حنق :

ــ يا للرجال !

تطلع إليها من بين جفنيه المسبلين ، وارتسمت على وجهه ابتسامة ارتياح ، لم تلبث أن ذابت على شفتيه ، وهو يتنهد فى ارتياح ..

لقد نجح فى تحطيم واحد من زعماء تلك المملكة ، التى يحلم دائما بالقضاء عليها تماما ..

مملكة السموم البيضاء ..

مملكة الشر .

[تمت بحمد الله]

حيث يبدأ العدم (دراســـة)

« اختفى السرب التاسع عشر ، بقيادة الملازم (تشارلز تايلور) ، دون سابق إنذار ، ولم يتم العثور على جنـــاح طائرة واحدة منه .. » .

كانت هذه هى الإشارة ، التى تلقها قائد القوات الجوية الأمريكية ، من قاعدة (فورت لاديرديل) فى (فلوريدا) ، فى الخامس من ديسمبر عام ١٩٤٥ م ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بقليل ، والتى كانت بمثابة قنبلة ذرية ثالثة ، يفـــوق تأثيرها ، فى نظر القيادة الأمريكية ، والعالم فيما بعد ، تأثير قنبلتى (هيروشيما) و (ناجازاكى) ..

لقد كانت إشارة البدء ، لواحـــد من اعقد واعظم الغـــاز العصر ، وكل العصور السابقة ..

لغز مثلث (برمودا) ..

. ففى ذلك اليوم : ٥ من ديسمبر ١٩٤٥ ، ، انطلق سرب من الطائرات البحرية ، بقيادة (تشـارلز تايلور) ، فى رحلة تدريبية ، وكل طائرة مجهزة بالقنابل ، ومملـــؤة بوقود يكفى

طيرانها لآلاف الكيلومترات ، وكانت الرياح شمالية شرقية معتدلة ، ودرجة الحـــرارة ملائمة ، وكل الأحـــوال الجوية والمناخية مثالية للطيران ..

وفى الثانية تماما ، بدأت الرحلة التدريبية ، وراح (تشارلز) يرسل ملاحظـــاته لاسلكيـــا ، وطائرات سربه تتدرب على الانقضاض والقصف ، كما يحدث فى كل مرة ، وبدا كل شىء عاديا مألوفا ..

وفجأة .. فى تمام الثالثة والربع ، تلقى برج المراقبة رسالة مضطربة من (تشارلز تايلور) ، يقول فيها :

ـــ هناك شىء عجيب يحدث .. لم نعد على ما يرام .. لا يمكننا حتى أن نرى الأرض .

وعندما سأله مراقبو الطيران عما يعنيه بهذا ، أجاب فى توتر :

ـــ لست أدرى .. المحيط لا يبدو كما اعتدنا ان نراه .. وكل شىء تعطل .. البوصلة والدفة .. كل شىء .

وبعدها انقطع الاتصال بسرب الرحلة التـــاسعة عشرة تماما ..

وتفجرت حالة ذعر عامة ، فى كل أفرع الجيش وقياداته ، فلقد انتهت الحرب العالمية الثانية منذ شهور قليلة ، وبـــدا الجميع استرخاءهم ، وبدا المستقبل مشرقا ، ثم جاء هـــذا الاختفاء الغامض ليقلب كل شىء راسا على عقب ..

وأصدر قائد القوات الجوية أوامره بضرورة البحث عن هذا السرب المفقود ، واستعادته بأى ثمن ..

وانطلقت السفينة الحربية (مارتن ماريز) ؛ لإنقاذ السرب المفقود ، ولكن ..

(مارتن ماريز) اختفت بدورها ..

تلاشت ، كما لو أن البحر قد انشق وبلعها ..

بل لم يبد هذا الاحتمال حتى منطقيا ؛ فلم تسفر عمليات البحث عن العثور على أدنى أثر لطاقمها ، أو حطام وركام ، أو حتى بقعة زيت ..

لقد تبخرت السفينة ، كما تبخر قبلهـــا سرب (تشارلز تايلور) ..

ذهبوا جميعا إلى العدم ، فى قلب مثلث الشيطان ..

وبدأت أسطورة مثلث (برمودا) ..

ومثلث (برمودا) هـــذا هو مثلث وهمى يقع فى غـــرب الأطلنطى ، ويمتـــد من (برمودا) شـــمالا ، إلى (فلوريدا) جنوبا ، ويتجه شرقا عبر جزر (البهاما) ، وغربا حتى خط طول ٥٤٠ ، ثم يعود إلى (برمودا) ..

والواقع أن حوادث الاختفاء فى مثلث (برمودا) لم تبـــدأ بحادثة سرب (تشارلز تايلور) ، وإنما هى حوادث قديمة ، يرجع تاريخ بعضـــها إلى القـــرون الوسطى ، ولكن قلة السجلات فى هذا العصر ، وقلة عدد الرحلات البحرية أعطتا انطباعا بأن لغز (برمودا) لم يبدأ إلا فى عصرنا هذا ، فى حين أشار (كريستوفر كولمبس) إلى واقعـــة اختفاء لواحدة من سفنه هناك ..

وبعد واقعة (تشارلز تايلور) ، وسربه ، بدات حوادث اختفاء اكثر إثارة ، اشهرها اختفاء سفينة الشحن (مارين سيلفركوين) ، التى يبلغ طولهـا ١٤١ متـرا ، والباخرة (سايكلوت) ، التى اختفت بكل ركابها ، البالغ عددهم ٣٠٩ راكب ، وحمولتها البالغة تسعة عشرالف طن ..

وفى عـام ١٩٤٨م ، كانت طـائرة جـديدة من طـراز (ستارتايجر) تعبر منطقة المثلث الغامض ، وعلى متنهـا طاقمها المكون من سـتة افراد ، وخمس وعشرين راكبا ، وكان كل شىء يسير على ما يرام ..

ثم اختفت (ستارتايجر) بغتة ..

وكانت هذه الحالة اكثر مدعاة للدهشـة ؛ فلم ترسـل (ستار تايجر) إشارة استغاثة واحدة ، بل كانت آخر رسالة واردة منها ، قبيل اختفائها بدقائق ، تؤكد ان الطقس جيد ، وكل شىء يسير على ما يرام ..

وتولت حـوادث اختفـاء الطائرات والسـفن فى مثلث (برمودا) ..

وبدات عمليات البحث العلمى ، والسعى لإيجاد تفسير علمى منطقى لما يحدث ..

وخرجت عشرات النظريات ..

عالم بريطانى حاول تفسير هذا بقوة التيارات البحرية فى منطقة مثلث (برمودا) ، وقال إن هـذا التيـارات يمكن أن تصنع دوامة هائلة ، ذات قوة امتصاص رهيبة ، تبتلع كل ما يقترب منها من السفن ، وكل ما يطير فوقها من طائرات ..

ولكن احدا لم يهتم بهذه النظرية ؛ إذ انها لم تعط تفسيرا مناسـبا لحوادث الاختفـاء المباغتـة ، ولا حتى للظواهر المصاحبة لها ، كما ان احدا لم يسجل وجود تخلخل هوائى ، يشير إلى وجود هذه الدوامة المزعومة ..

ثم جاء الأمريكى (ولبرت ب. سميث) ، وقال إنه توجد مناطق تتلاشى فيها الجاذبية على كوكب الأرض ، مما يؤدى إلى اضطراب البوصلة ، واجهزة الطيران ، ولكن هذا ايضا لم يفسر الأمر على نحو جيد ، مما جعل احد العلماء يشير إلى نبوءة قديمة للعالم النفسانى ، والمتنبىء الشهير (إدجـار كايس) ، الذى توفى عـام ١٩٤٤م ، قبيل كشف واختراع اشعة الليزر ..

ففى عام ١٩٣٧م ، اشار (كايس) فى اثنـاء سقوط فى غيبوبة عميقـة ، إلى أن سكان قارة (أطلنطس) القديمة استخدموا الكريستال والياقوت ، لتوليد واستخراج الطاقة ، وأن جزء كبيرا من هـذه الطاقة قد غرق مع قارتهم ، وانه سيبقى فى الجـزء الغربى من المحيط الأطلنطى ، ليفسـد البوصلة ، وكل المعدات الحديثة ، فوق نقطة غرقه ..

ولم يكن اى مخلوق يعلم ، حتى هـذا التاريخ ، انه من الممكن توليد طاقة الليزر من الكريسـتال أو الياقوت ، أو عبرهما ..

وهنا برز احتمال آخر ..

احتمال أن تكون (أطلنطس) هى السر ..

ولا فى هـذا الاحتمال قبولا من ذوى الخيـال ، فى حين استنكره كل العلماء ، وكل وارسى غموض مثلث (برمودا) ..

ثم تفجرت اكبر قنبلة فى الموضوع ..

ففى حديث تليفزيونى عـام ١٩٧٤ ، قال احـد مراقبى المطار ، ممن عاصروا حادثة (تشارلز تايلور) ان القوات الجوية قد اخفت عبارة ارسلها (تايلور) نفسه ، قبل اختفاء سربه تماما ..

« لا تتبعونا .. يبدو انهم من الفضاء الخارجى » ..

وكان هذا يقلب كل الأمور بالفعل ، ويضع احتمالا جديدا ، لم يناقشه احد من قبل ..

احتمال أن تكون هـذه الاختفاءات عمليات اختطاف ، من قبل مخلوقات من كوكب آخر ..

ومرة اخرى وجدت هذه الفكرة مؤيديها ومعارضيها ، ولكن احدا من مسئولى القوات الجوية لم ينكـر أو يستنكر هـذه العبارة ، التى نسبت إلى (تشارلز تايلور) ، مما أيد موقف من يميلون إلى نظرية الاختطاف من الفضاء الخارجى ..

ولكن ماذا عن الذين نجوا من مثلث الرعب ؟..

ماذا رأوا ؟..

بم شعروا ؟..

ماذا قالوا ؟..

القبطان (هنرى) ملاح قديم ، فى الخامسة والخمسين من عمره ، قوى الجسد ، ممشوق القوام ، يمتلك شركة للإنقاذ البحرى ، ويروى انه كان يجر بسفينته يوما باخرة كبيرة ، عندما اطاحت به فجأة سحابة كثيفة للغاية من الضـباب ، وخيل له ولبحارته أن الأفق قـد اختفى ، وأن السـماء قد اختلطت بالمـاء ، بحيث لم تعد هنـاك اتجاهات ، وفقدت البوصلة وعيها ، وراحت تدور باتجاه عقارب السـاعة فى جنون ، وكانت المولدات كلها تعمل باكثر طاقتها ، ولكنها لم تكن تعطى أية كهرباء ، واختفت الباخرة التى يجرونها تماما ، وإن بدا الحبل المربوط إليها مشدودا عن آخره ، وهناك مادة كالحليب تحيط بكل شىء ..

ثم اختفى كل هذا بغتة ، وبدا الأفق اخضر اللون لحظات ، وبعدها عاد كل شىء إلى طبيعته ..

ما الذى يعنيه هذا إذن ؟..

إن حادثة القُبضـان (هنرى) مجرد مثال ، وإن اتفقت اقواله مع اقوال واوصاف العديدين ، ممن نجوا من هـذا الرعب ، وممن شاء لهم القدر الا يتحولوا إلى رقم آخر ، فى سجل المفقودين ، والضائعين فى هذا العدم ..

وما زال مثلث (برمودا) يحمل كل الغموض ..

حيث تختفى الطائرات ، والسفن ..

حيث يتلاشى البشر ..

وحيث يبدأ العدم ..

---

١ ــ المعركة ..

الصحراء ..

اسم قد يعنى الخوف والرهبة ..

قد يعنى الضياع والعطش والدمار ..

أو الموت ؟.

الصحراء التى تمتد أمام ناظرها إلى ما لا نهاية ، صفراء فى لون الذهب .. ملتهبـــة كشمس الصـــيف .. صـــامتة كالقبر ..

هكذا بدا المشهد ..

وهكذا تبدا القصة ..

صحراء ممتدة إلى ما لا نهاية ..

ثم يظهر هو عند الأفق ..

الفارس ..

فارس بدوى ، يمتطى جوادا من جياد العرب الأصيلة ، ويحمل بندقية عريقة ، وينطلق عبر الصحراء ، قاطعا صمتها .. ممزقا سكونها .. مثيرا رمالها ..

وكان يحيط راسه ونصف وجهه السفلى بلثـــام بدائى ، وكأنما يقى أنفاسه وصدره الرمـــال ، او يحيط نفسه بهالة غريزية من الغموض ، أحاطت بأجداده منذ زمن طويل ..

كان عربيا ..

لا يهم من أى بلد كان ..

إنه عربى ..

عربى فحسب ..

وهذا يكفيه ..

وفى حزم ، جذب هذا البدوى العربى عنان جواده ، وصاح به يدعوه إلى التوقف فى قلب الصحراء ، فاستجاب له الجواد الأصيل ، وتباطـــأ حتى توقف تمامـــا ، وراح يضرب رمال الصحراء بقوائمه فى رفق ، فى حين مسح راكبه فيضـــا من العرق ، تسلل من خلف عمامته ، ليغرق جبهته ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، يلقى نظرة سريعة على قرص الشمس ، الذى توسط كبدها ، وغمغم :

ــ لقد قطعنا شوطا طويـــلا هـــذه المرة .. فلقد غادرنا الواحة قبيل شروق الشمس .

قالها بصيغة الجمع ، وكأنما يعتبر جـــواده رفيقا له فى رحلته ، ثم التقط زمزمية بدائية من الجلد ، ونزع سدادتها ، ورفعها إلى فمه ليروى ظمأه ، ثم هبـــط عن صهوة جواده ، وملأ يديه بالمـــاء ، وأدناهما من فم الجواد ، الذى راح يلتقط المـــاء بلسانه فى لهفة ، فابتسم البدوى ابتسامة مشفقة ، أخفاها لثامه ، وهو يغمغم :

ــ ارتو يا رفيقى ، فما زال أمامنا طريق طويل ، قبل أن نبلغ واحة الأعمام .

ربت على عنق الجواد مشجعا ، وامسك بطرف سرجه ، وهم بالوثب على متنه ، عندما تناهى إلى اذنيه ذلك الأزيز ..

أزير الطائرات المتصارعة المتقاتلة ..

ورفع البدوى عينيه إلى السماء ..

وانعقد حاجباه فى ضيق ، عندما وقع بصره على ذلك المشهد ، الذى تكرر أمامه أكثر من مرة ، منذ بدأت تلك الحرب ..

الحرب العالمية الثانية ..

مشد قتال الطائرات ..

وامتلأت نفسه بالحنق والسخط ..

لماذا يتقاتلان فوق أرضه ، وفى سمائه ؟!..

لماذا يتخذان من وطنه ساحة لمعركتهما ؟!..

الا يكفيهما ان فريقا منهما يستعمر ارضه ووطنه منذ زمن ؟..

ترك غضبه ومقته يتصارعان فى أعماقه ، وهو يتابع القتال المحتدم بين السحب ..

كانت هناك طائرات فضية ، واخرى سوداء داكنة ، والاثنتان يتحاوران ، وتتناوران فى مهارة واضحة ..

ثم انبعث خيط من الدخان ، من ذيل إحدى الطائرات الفضية ، وراحت تهوى نحو الصحراء ..

وانقبض قلبه ..

ستسقط الطائرة فى صحرائه ...

فى مملكته ..

تابع سقوط الطائرة ببصره ، وقد تحول خيط الدخان فى مؤخرتها إلى لسان من اللهب ، امتزج بسحابة سوداء ، والطائرة تقترب بسرعة كبيرة من الأرض ..

ثم انفصل جسم من وسط الطائرة ، وارتفع عاليا ، قبل ان يتحول إلى مظلة كبيرة ، تحمل مقعدا ، يستقر فوقه جسد بشرى ..

وارتطمت الطائرة بالرمال فى قوة ..

وانفجرت ..

وفى لهفة ، لم يدر لها سببا ، تركز بصر البدوى على المقعد ذى المظلة ، الذى يبـــدو أن صـــاحبه لم ينجح فى إطلاقه فى الوقت المناسب ، فقد انفتحت المظلة على مسافة قصيرة ، حتى انها لم تكف لتامين هبوط آمن ، وإن نجحت إلى حد ما فى تخفيف صدمة السقوط ، ولكن ..

ارتطم المقعد وراكبه بالأرض فى عنف ، وسقطت فوقهما المظلة ، وغطتهما تماما ..

وقبل أن يفكر البدوى ، أو يبحث الأمر فى ذهنه ، وجـــد نفسه يقفز فوق صهوة جوداه ، ويهتف :

ـــ هيا .. هيا إلى هناك .

أطاعه الجـــواد بنفس الحمـــاس واللهفـــة ، فانطلق كالصاروخ ، نحو الهدف الذى يقوده إليه فارسه ، وراح ينهب الأرض نحو المظلة المستكينة على رمال الصحراء ..

ومن بعيد بدا حطام الطائرة المشتعلة ، وميز البدوى على جانبها رسما لصليب معقوف لم يدر معناه أو مغزاه .. بل لقد تجاهله تماما ، وهو يندفع نحو المظلة ، ولم يكد يبلغها حتى أوقف جواده ، ووثب من فوقه ، وراح يجذب المظلة فى سرعة وإصرار ..

ووقع بصره على الرجل الذى يرقد اسفلها ، فوق مقعد جلدى وثير ..

كان من الواضح انه اجنبى ..

ذلك الشـــعر الأشقر الذهبى ، الذى يلتمع مع أشـــعة الشمس ، ويتألق مع رمـــال الصحراء ، والبشرة الوردية ، التى لم يهزم شحوب الموقف شيئا كثيرا من توردها ..

ثم هذه العيون الزرقاء ..

زوج من الأعين الزرقاء يتطلع إليه فى شىء من الضراعة يمتزج بخوف غامض ، على الرغم من وجود مسدس فى غمده ، حول وسط الأجنبى ، وبالقرب من أصابع يده اليمنى ..

ولكن اليد نفسها كانت تدمى فى شدة ، وتبدو يابســـة ، خالية من الحياة ، ومن أثر السقوط ، ويبدو أن هـــذا هـــو السبب الوحيد ، الذى منع الأجنبى من إطلاق نيران مسدسه على البدوى .

ومضت لحظة من الصمت ..

بل لحظات التقت فيها العيون العربية السوداء ، بالعيون الزرقاء ، قبل أن تنفرج شفتا الأجنبى فى صعوبة ، ليقول فى وهن :

ـــ انقذنى أيها العربى .. انقذنى .

انعقد حاجبا البدوى الكثين ، فوق عينيه السوداوين ، وهو يقول فى شىء من الدهشة :

ـــ هل تتحدث العربية ؟

تأوه الأجنبى فى ألم ، وهو يجيب :

ـــ إنهم يعلموننا بعض العربية ، فى قيادة الرايخ ؛ لنفيد بها إذا ما سقطنا فى أرض عربية ، و ...

منعته آهة الم من إكمال حديثه ، فسأله البدوى فى صرامة :

ـــ لمـــاذا تتحاربون فى سمائى ؟

امسك الأجنبى جرح ذراعه ، وهو يقول فى مزيج من الألم والضعف :

— لست أنا من يحتل أرضـك يا رجل .. إنهم هم .. أعدائى وأعداؤك ..

ساعدنى .. ساعدنى حتى نطردهم من وطنك .

قال البدوى فى حزم :

— لتحتلوه أنتم .. أليس كذلك ؟

كان ينتظر جوابا من الأجنبى ، إلا أن عينى هذا الأخير قد اتسعتا فى ذعر ، وهو يتطلع إلى نقطة بعيدة ، خلف ظهـر البدوى ، الذى استدار بدوره يتطلع إلى النقطة نفســها ، فوقع بصره على ثلاث سيارات عسكرية ، من نوع (الچيب) ، تندفع نحو موقعه ، وكل منها تحمل ثلاثة من الجنـود ، الذين يحتلون أرضه ، وسمع الأجنبى الجريح يقول فى ارتياع :

— لقد أتوا من أجلى .. إنهم ينشدوننى .

ثم تشبث بذراع الفارس ، مستطردا :

— انقذنى أيها العربى .. انقذنى .

استثارت العبارة تلك النخوة فى أعماق كل العرب ..

استثارت روح الفروسية فى نفوسهم ..

اشعلت جذوة شهامة وحماسه ، فانعقد حاجباه فى حزم وصرامة ، وهو يقول للأجنبى :

— اطمئن .. سأحميك .

ثم انتزع خنجـره من نطاقه ، وانحنى يمزق به الحــزام الجلدى السميك ، الذى يربط الأجنبى إلى مقعده ، وأعــاد

الخنجر إلى نطاقه ، وحمل الأجنبى ؛ ليضعه على ظهر جواده ، راقدا على بطنه ، وبعدها انتزع بندقيته من سرج الجواد ، وجذب إيرتها فى حزم ، فهتف به الأجنبى فى تهالك وفزع :

— ماذا ستفعل ؟

أجابه البدوى فى حزم ، وهو يتطلع إلى سيارات (الچيب) الثلاث ، التى تقترب فى سرعة :

— قلت لك اطمئن .. سأحميك .. ولن يظفروا بك أبدا .

هتف الأجنبى :

— أتظن أنك ستفعل هذا ببندقية واحدة وجواد ؟

صاح به البدوى :

— اصمت .

وفى أعماقه ارتفعت راية طال شوقه لخفقاتها طويلا ..

راية المعركة ..

* * *

٢ ــ الهروب ..

اتضحت الصورة لعينى البدوى ، مع وصول سيارات (الجيب) الثلاث ..

كان يواجه تسعة من الذين يحتلون ارضه ، بوجوههم الحمراء الباردة ، وكل ثلاثة منهم داخل سيارة ، يجلس فيها ضابط واحد مع جنديين ، احدهما يقود السيارة ، والآخر يقف فى المقعد الخلفى ، أمام مدفع رشاش مثبت بقائمين راسيين إلى جانبى السيارة ..

وتوقفت السيارات الثلاث امام البدوى ، وقال ضابط بدين ، يحتل المقعد المجاور للسائق ، فى السيارة الوسطى :

ــ أحسنت بأسرك هذا الالمانى أيها العربى .. إنه عدو لنا .. ولكم بالطبع .. هيا .. أعطنا إياه .. إنه يخصنا .

كانت لحظة المواجهة ..

أول لحظة يواجه فيها اعداءه وجها لوجه ، منذ هبط جنودهم على سواحل بلاده ، فى زمن جده ..

لحظة الصدام المباشر ..

وفى حزم الدنيا كلها ، أجاب البدوى :

ــ لا .. هذا الالمانى يخصنى انا .

حدق الضابط البدين فى وجه البدوى فى دهشة ، وخيل إليه انه لم يفهم كلماته جيدا ؛ لأن معرفته بالعربية لم تكن كافية ،

أو أن حرارة الشمس قد اربكت عقله وتفكيره ، فرفع قبعته العسكرية ، واخرج منديله ليجفف جبهته ، ويمسح شعره الأحمر الملتهب كثيران غاضبة ، ثم قال :

ــ يبدو انك لا تدرك الموقف جيدا ايها البدوى .. هذا الرجل المانى ، ينتمى إلى الرايخ الثالث(*) ، قائد دول المحور ، التى تتحارب معنا نحن الحلفاء ، منذ عام الف وتسعمائة وتسعة وثلاثين ، و ...

قاطعه البدوى فى صرامة :

ــ لقد استجار بى هذا الرجل ، أيا ، كانت جنسيته أو عقيدته ، وتقاليدنا تحتم ان أجيره ، مهما كان الثمن .

مرة أخرى خيل للضابط البدين انه لم يفهم المعنى ، فحدق فى وجه البدوى فى دهشة ، قبل أن يهتف فى حنق غاضب :

ــ هل تمزح أيها العربى ، أم ان حرارة الشمس قد أصابت عقلك بمس من الجنون ؟.. إنها حرب .. حرب عالمية ، يشتعل أوارها فى العالم اجمع ، وهذا الالمانى واحد ممن أمطروا شعبنا بالقنابل ، ولقد استطعناه اليوم ، وهو اسيرنا ، ولن ..

(*) الرايخ الثالث : اسم ارتبط بعهد (أدولف هتلر) ، والرايخ هو المجلس الأدنى للبرلمان الاتحادى الالمانى ، ولقد أصبح (هتلر) مستشارا للرايخ عام ١٩٣٣م ، ثم دبر مع (جورنج) عملية حرق مبنى (الرايخ) ؛ ليتخذه ذريعة لفرض النازية المطلقة ، التى تسببت فى اشتعال الحرب العالمية الثانية .

قاطعه البدوى مرة أخرى :

— بل هو ضيفى ، ولن ينتزعه أى مخلوق منى ، إلا على جثتى .

هتف الضابط فى حدة :

— على جثتك ؟!

ثم انعقد حاجباه الحمراوان فى صرامة ، وهو يستطرد :

— فليكن أيها العربى .

ورفع ذراعه هاتفا بلغته :

— اقتلوه .

رأى العربى فوهات المدافع الرشاشة الثلاثة ترتفع فى وجهه ..

وهو لا يحمل سوى بندقيته ..

وخنجره ..

وقلبه العربى ..

* * *

حتى الحروب علم ..

علم له قواعده وأصوله ..

علم يدرس كل ظروف الحرب ؛ ليضع النتائج ..

يدرس ساحة المعركة ، وطبيعة الأرض ، وقوة الجيشين المتصارعين ، و ...

كل القواعد ..

إلا واحدة ..

واحدة نسيها واضعو هـذا العلم ؛ لأنهم — للأسف — ليسوا من أبناء العرب ..

قاعدة تتعلق بقدرات البشر وإحساسهم بالكرامة ..

وبقدرة الله (سبحانه وتعالى) ..

القدرة التى لا تعلوها قدرة ..

قدرة خالق الكون ومحركه ..

وبهذه القاعدة المنسية ، اختلفت الصورة ..

فى كل الظروف الطبيعية لم يكن من الممكن أن ينجو البدوى، وهو يحمل بندقيـة بدائيـة وخنجرا ، فى مواجهة ثلاث من سيارات (الجيب) ، وتسـعة من جنود الأعـداء ، وثلاثة مدافع رشاشة ..

ولكننا قلنا إن الصورة قد اختلفت ..

لقد تحرك البدوى الملثم بأسرع مما تحرك أعداؤه ، ورفع بندقيته فى سرعة البرق ، وأطلق منها رصاصتين ، اخترقت إحداهما جمجمة أحد الجنـود الثلاثة ، الذين يقفون خلف المدافع الرشاشة ، واخترقت الثانية صدر آخر ..

وقبل أن يطلق الثالث رصاصات مدفعـه الرشاش ، كان العربى قد وثب على صهوة جواده ، وهتف به :

— انطلق .

لم يفر مبتعدا عن خصومه ، كما قد يتوقع الجميع ، وإنمـا انطلق بجواده نحوهم ، وجذب عنان الجواد فى حزم ، ولكزه بكعبيه فى بطنه ، فانطلق الجواد صهيلا قويا ، وقفز بقوائمه الأربع وبراكبيه ، فوق السيارة الوسطى ، فانطلق ضابطها البدين شهقة دهشة وذعر ، ورفع ذراعه اليمنى فوق رأسه ، وهو ينحنى فى خوف ..

وهبط الجواد الأصيل خلف السيارة ، واطلق الألماني الجريح صرخة الم ، عندما ارتج جسده في قوة ، مع هبوط الجواد ، ثم فقد وعيه ، مع انطلاقة الجواد بين رمال الصحراء ..

واعتدل الضابط البدين ، وهو يصرخ في الجندي المقاتل الوحيد ، الذي بقي حيا خلف مدفعه الآلي :

ـ اقتله .. اقتله قبل ان يبتعد .

ارتبك الجندي ، وقفز إلى الجانب الآخر من السيارة ، وأدار مدفعه الرشاش إلى الخلف ، وراح يطلق النار خلف البدوي ، ولكن جواد هذا الأخير كان قد ابتعد إلى حد كاف ، فهتف الضابط البدين في سخط :

ـ اللعنة !

اعتبر الجندي هذا السباب أمرا من قائد بالتوقف عن إطلاق النار ، فأوقف سيل النيران ، في حين استطرد الضابط البدين في حدة :

ـ يا للعار !!.. كيف فعل بنا بدوي متخلف هذا ؟

هتف ضابط شاب ، له شارب ضخم ، يملأ وجهه كله تقريبا :

ـ لقد باغتنا وخدعنا يا كابتن (سميث) ، فلم نكن نتوقع رد فعله السريع هذا ، ولا اتجاه فراره ، أو ...

قاطعه البدين (سميث) في حنق :

ـ اصمت يا (رالف) .. حديثك هذا يثير مزيدا من سخطي .. كيف تقول بكل هذه البساطة . إن بدويا همجيا قد

خدع ثلاثة من ضباط إمبراطوريتنا العظمى ؟!.. إننـــا لن نسمح بهذا ابدا .

ارتبك (رالف) ، وهو يقول :

ــ ولكننى تصورت إن هذا افضـــل مصـــطلح يا كابتن (سميث) ، وإلا فكيف يمكنك أن تصـــف ما فعـــله بجنـــدى سيارتك ، وجندى سيارة (الفريد) ؟

قالها وهو يشير إلى السيارة الثالثة ، التى يجلس فيها ضابط متين البنيان ، حاد الملامح والنظرات ، علق فى سرعة :

ــ هذا لا يعنى انه قد هزمنا يا (رالف) .

ازداد ارتباك (رالف) ، وهو يغمغم :

ــ بالتاكيد ، ولكن ..

قاطعه كابتن (سميث) فى صوت هادر ، وهو يوجه حديثه إلى الضابط الآخر :

ــ بالطبع يا (الفريد) .. لا يمكن أن يهزمنا عربى .

ثم أشار إلى حيث اختفى البدوى ، واضـــاف فى حـــزم غاضب :

ــ هيا .. اديروا السيارات ، وسنطارد هذا البدوى .. وسنستعيد اسيرنا .

استدارت السيارات الثلاث ..

وبدأت المطاردة ..

* * *

لم يصدق الالمـــانى الجريح نفسه ، عندما استعاد وعيه ، نوجد نفسه يرقد حيـــا على رمال الصـــحراء ، وفوقه مظلة بدائية تظلل راسه ، صنعهـــا له البدوى من سرج جواده ، وبندقيته المثبت كعبها فى الرمال ..

وتحسس الالمـــانى بيسراه تلك الضمادة المحكمة ، التى احاط بها العربى جرح ذراعه ، والتى هى جـــزء من عمامة البدوى ، ثم أدار عينيه يبحث عن العربى ..

كان جواد البدوى يقف على مقربة منه ، ينفخ الهواء من منخريه ، ويضرب الرمـــال بقائمته اليسرى فى رفق ، فى حين وقف العربى على قيد خطوات منه ، وهو يوليه ظهره ، ويضم كفيه إلى منطقة القفاء صدره ببطنه ، ويحنى راسه فى خشوع وصمت عجيبين ..

وقال الالمـــانى فى ضعف :

ــ حلقى يلتهب .. أريد جرعة ماء .

خيل إليه أن العربى لم يسمعه ، على الرغم من انه كان يقف قريبا منه ، فرفع صوته ، مكررا :

ــ أريد جرعة ماء .

امتلأت نفسه برهبة غامضة ، عنـدما راى العربى يجثو على ركبتيه ، ثم يسجد حتى تمس جبهته رمال الصحراء ..

وارتجف قلب الالمـــانى ، ولاذ بالصمت ، وهو يراقب العربى فى خشوع عجيب ، ملأ نفسه كلها ، والعربى يكرر سجوده ، ثم يجلس على ركبتيه صامتا ، وشفتاه تتمتمـــان

بهمس شديد الخفوت ، قبل أن يدير وجهه يمينا ، وكأنما ينظر إلى كتفه اليمنى ، ثم يعود ليديره يسارا ، وبعدها ينهض ليحمل زمزميته ، ويتجه بها إلى الالمانى ، قائلا فى هدوء بالغ :

ـ خذ .

ساله الالمانى فى دهشة :

ـ ما هذا ؟

أجابه العربى ، وهو يجلس على الرمال إلى جواره :

ـ الماء .. الم تطلب جرعة منه ؟

أومأ الالمانى براسه إيجابا ، واختطف الزمزمية ، وراح يروى عطشه من مائها فى لهفة ، ثم اعادها إلى العربى ، وهو يقول :

ـ اشكرك .

قال البدوى فى بساطة لا تخلو من شىء من الحزم :

ـ الماء لله ، وليس لى .

ساله الالمانى فى اهتمام :

ـ ماذا كنت تفعل ؟

أجابه فى اقتضاب :

ـ اصلى .

ساله :

ـ للشمس .

كان اللثام يخفى نصف وجه البدوى ، إلا ان الالمانى راى ابتسامة ساخرة تملأ العينين السوداوين ، والبدوى يجيب :

ـ هل تصلون أنتم للشمس ؟

غمغم الالمانى فى حرج :

ـ لا .. ولكننى تصورت أن ..

قاطعه البدوى ، وهو يجيب فى خشوع :

ـ كنت أصلى لله (سبحانه وتعالى) ، خالق الكون كله .

ساله الالمانى :

ـ أتقصد الله ، الذى نعبده نحن ؟

أجاب البدوى :

ـ هناك إله واحد للجميع .

اراد الالمانى ان يلقى عليه سؤالا آخر ، ولكن البدوى أوقفه بإشارة من يده ، ورفع راسه ، وكأنه يرهف سمعه لأمر ما ، ثم لم يلبث ان نهض فى سرعة ، وقال فى حزم :

ـ هيا .. سنواصل رحلتنا .

قال الالمانى فى دهشة :

ـ ولكننى متعب ، و ...

لم يمهله العربى ، وإنما انتزع سرج الجواد ، وراح يربطه على ظهر جواده فى إحكام ، ثم حمل الالمانى ، والقاه على متن الجواد ، وانتزع بندقيته من الرمال ، ووثب على صهوة الجواد بدوره ، فقال الالمانى فى الم :

ـ ماذا حدث ؟.. لماذا تسرع هكذا ؟

جذب البدوى عنان جواده ، وهو يقول :

ـ لقد وصلوا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى رأى الألمانى سيارات (الچيب) الثلاث ، وهى تظهر من خلف مرتفع رملى قريب ، وتتجه إلى موقعهما فى سرعة ، وفى نفس اللحظة انطلق الجواد ..

وبدأت المطاردة ..

* * *

٣ ـ مطاردة ..

ترى أيهما أكثر سرعة ، على رمال الصحراء .. السيارة ، أم الجواد ؟..

لا ريب أن هذا هو السؤال ، الذى دار بذهنك ، مع بدء المطاردة ..

وهو نفس السؤال ، الذى دار بخلد الألمانى ، وملأ حواسه كلها ، إلى الحد الذى أنساه آلام جراحه ، على الرغم من سرعة الجواد وارتجاجاته ..

كانت حياته كلها تتوقف على جواب هذا السؤال ..

وعلى سرعة جواد البدوى ..

هذا ما تصوره هو ..

أما راكبو السيارات ، فقد بدا لهم أن النصر آت لا ريب فيه ، وسياراتهم تقترب من الجواد فى سرعة ، فهتف كابتن (سميث) ، وقد احتقن وجهه المكتظ كله ، بفعل الحرارة والانفعال :

ـ لقد أوقعنا به .. زيدوا من سرعتكم .. هيا .. أريد رأس ذلك العربى الأحمق على طبق من صفيح صدىء .

ضرب (الفريد) ظهر سائق سيارته براحة يده فى حدة ، وهو يهتف .

ـ انطلق خلفه يا (اندرو) .. سأمنحك إجازة طويلة ، لو لحقت به .

ضاعف ذكر الإجازة من حماس (أندرو) ، وقفزت إلى ذهنه صورة خطيبته الحسناء ، التى لم يلتق بها منـــذ عام كامل ، فضغط دواسة الوقـــود بكل قوته ، وانطلق خلف جواد البدوى ..

وهتف الألمـــانى فى يأس :

ـــ سيلحقون بنا .. لا فائدة .

لم يعلق البدوى بحرف واحد ، وإنما ظل ينطلق بجواده بأقصى سرعة ، وعيناه تجوبان الصحراء فى اهتمام وترقب ..

وفجأة انحرف بجواده يمينا ، فهتف (الفريد) ، وهو يطلق ضحكة تمتزج فيها السخرية بالشىء الكثير من العصبية :

ـــ لا فائدة من مناورتك الفاشلة أيها العربى .. الصحراء كلها صحراء .. ستجـــد الرمال أينمـــا ذهبت .. رمـــال بلا نهاية .

بلغت العبارة مسامع البدوى ، ولكنه لم يتوقف ، بل واصل انطلاقته بجواده ، وكأنمـــا احتشدت حواسه كلهـــا لهـــذه الانطلاقة ..

واقتربت السيارة من الجواد اكثر واكثر ..

وراحت المسافة بينهما تتناقص ..

ومن مســـافة بعيـــدة نوعا ، رأى (سميث) و (رالف) ما يحدث ، فهتف (سميث) فى انفعال شامت :

ـــ لقد لحق به (الفريد) .. سيمزق هذا العربى تمزيقا .

أما (رالف) ، فلم ينبس ببنت شفة ..

كان هناك قلق خفى يملأ نفسه ..

أو هو شعور سابق للأحداث ..

كل هذا لم يشعر به (الفريد) ، الذى طغى شعور الظفر على كل مشاعره الأخرى ، فقفز من مقعده إلى المقعد الخلفى، حيث المدفع الرشاش المثبت هناك ، وصرخ فى السائق :

ـــ الحق به يا (أندرو) .. الحق به .. أريد ان أرى الهزيمة فى عينيه ، قبل أن أمطره برصاصاتى .

واقتربت السيارة كثيرا من الجواد ، و ..

وفجأة انحرف البدوى بجواده يسارا ، فى انحرافة حادة ، مال لها الجواد الأصيل فى عنف ، قبل أن ينطلق فى طريقه مرة أخرى ، فصرخ (الفريد) :

ـــ انحرف خلفه يا (أندرو) .. انطلـ ..

قالها و (اندرو) يدير سيارته بالفعل ، ثم بتر العبارة ، وقد اتسعت عيناه فى رعب هائل ..

لقد وجد امامه فجاة جرف رهيب ..

منخفض رملى حاد ، يبلغ ارتفـاع حافته ، حيث تنطلق السيارة ، مائة متر على الأقل ..

وكان (اندرو) ينحرف بالسيارة فى عنف ..

والسيارة تنزلق على رمال الصحراء ..

وإطارات السيارة تتجاوز حافة الجـرف الصحراوى ، وتدور فى الهواء ..

واطلق (الفريد) صرخـة رعب هائلة ، امتزجت بشهقة ذعر وذهول من حلق (اندرو) ..

وفقدت السيارة توازنها ..

وهوت ..

هوت من حالق ، وارتطمت بالرمال فى عنف ..

وانكمت الصرخات ..

ودون أن يلتفت خلفه ، واصل البدوى طريقه ، وجواده ينهب الأرض نهبا ، فى حين راح الالمـانى يسأله فى انفعال :

ـ ماذا فعلت بهم ؟.. كيف فعلتها ؟.. كيف ؟

ولم يجب البدوى ..

أما (سميث) و (رالف) ، فقد أوقفـا سيارتيهما عنـد حافة الجرف ، وصرخ (سميث) فى ارتيـاع ، وهو يغادر سيارته :

ـ ماذا فعل ذلك البدوى الأحمق ؟.. ماذا فعل ؟

دار راسه ، وهو يتطلع من أعلى الجرف إلى السيارة ، التى غاص جزء منها فى قلب الرمـال ، مع راس (الفريد) ، وإلى جوارها استلقى سائقها ، وسط بركـة من الدماء ، راحت الصحراء تمتصها فى بطء ..

وفى مـرارة ، وبوجـه احاله الشحـوب إلى ما يشـبه الصحراء ، قال (رالف) :

ـ لقد خدعه العربى .. قاده إلى حافة رملية ، تنشـأ عادة من عوامل التعريـة الجوية ، ولا يعرفهـا إلا ابنـاء الصحراء .

رفع (سميث) راسه فى حدة ، وهو يقول :

ـ ابناء الصحراء ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يصرخ :

ـ حسنا يا (رالف) .. سندفن ابناء الصحراء هؤلاء فى قلب الصحراء .

وعلى الرغم من بدانتـه ، قفـز إلى سـيارته فى خفة ، واستطرد فى عناد :

ـ هيا .. سنواصل المطاردة .

واطاع الجميع الأمر ..

* * *

ابتعد البدوى بجواده لمسافة مناسبة ، ثم خفف سرعـة الجواد ، وربت عليه فى حنان والفة ، ورفع عينيه يديرهما فى الصحراء من حوله ، فتمتم الالمـانى فى الم وضعف :

ـ يبدو أن جرحى ينزف مرة اخرى .

القى البدوى نظرة سريعة على الضمادات الملوثة بالدماء ، وقال :

ــ هذا صحيح .

وأوقف الجواد ، ثم هبط عنه ، وحمل الالمـــانى ، وأرقده على الرمال ، فتاوه هذا الأخير ، وقال :

ــ ما زالت الرمال ساخنة .

أجابه البدوى فى حزم واقتضاب :

ــ احتملها .

ثم راح يحل الضمادات فى صمت ، والالمـــانى يتامله فى حيرة لا تخلو من إعجاب وإكبار ، قبل ان يسأله :

ــ كيف قدتهم إلى هذا الفخ المحكم ؟

أجابه البدوى ، وهو يضمد الجرح مرة اخرى :

ــ الصحراء ليست كلها صحراء ، كما قال ذلك الرجل .

هتف الالمـــانى فى دهشة :

ــ هل تفهم لغته ؟

عقد البدوى حاجبيه ، وأجاب فى ضيق :

ــ بالطبع .. إنهم يحتلون وطنى منـــذ اكثر من نصـــف القرن .

حدق فيه الالمـــانى لحظات فى دهشة ، ثم ازاح دهشته جانبا ، امام فضوله الجارف ، وهو يسال البدوى :

ــ حسنا .. ما الذى تعنيه بان الصحراء ليست كلهـــا صحراء ؟

أجابه البدوى فى اقتضاب :

ــ للصحراء لغة نفهمها نحن .

سأله فى لهفة :

ــ أية لغة ؟

لم يجب البدوى هذه المرة ..

إنه يعرف لغة أعدائه ، ليتقى شرهم ، كمـــا أمره دينـــه ورسوله ، ولكنه لن يكشف لغته هو لأجنبى ابدا ..

حتى ولو كان هذا الأجنبى عدوا لعدوه ..

لن يكشفها لأحد قط ..

وكرر الالمـــانى فى إلحاح :

ــ ما لغة الصحراء هذه ؟

أجابه هذه المرة فى اقتضاب حازم :

ــ لن تفهمها .

ثم حمله ، بعد ان انتهى من تضميد جراحه ، واعاده إلى ظهر الجواد ، فتخلى الالمـــانى عن سؤاله ، وقال :

ــ اخبرنى إذن ، إلى اين سنذهب هذه المرة ؟

أجابه البدوى ، وهو يعتلى صهوة جواده :

ــ إننا نحتاج إلى المـــاء .

وفى لغة الصحراء ، كان هذا يعنى جوابا واضحا .. واتجاها واحدا ..

* * *

« إلى اقرب واحة .. » .

قالها (رالف) فى اهتمام ، وهو يشير إلى بقعة خضراء ، تتوسط خريطة كبيرة صفراء ، فردها (سميث) على مقدمة سيارته ، فسأله هذا الأخير :

— انت واثق من انه سيتخذ هذه الوجهة بالذات .

أجابه (رالف) :

— بالتأكيد ؛ فهو وجواده والألمانى سيحتاجون إلى الماء حتما ، شأن اى مسافر فى الصحراء ، ولا يوجد ماء فى هذه المنطقة ، سوى فى تلك الواحة .

ثم تنحنح ، وأضاف :

— ونحن أيضا نحتاج إلى الماء ، فقد تطول المطاردة ، و ...

قاطعه (سميث) فى حدة :

— لن تطول .

ثم قفز إلى سيارته ، آمرا فى انفعال :

— هيا .. سنذهب إلى هذه الواحة .

وأضاف فى حنق واضح :

— وسنروى نخيلها بدماء هذا العربى .

وتواصلت المطاردة . .

* * *

لم تختلف الواحة كثيرا عن صورتها على الخريطة .. بقعة خضراء ، وسط مساحة هائلة صفراء ..

ومع اقتراب السيارتين من الواحة ، راحت تلك البقعة الخضراء تتحول إلى جنة صغيرة ، من النخيل والأغصان الوارفة ، وسط صحراء قاحلة ..

واقتحمت السيارتان تلك الجنة بكل صفاقة وهمجية ، وخرج سكان الواحة من خيامهم ، يتطلعون فى قلق إلى سيارتى (الچيب) ، وأصر (سميث) على مضاعفة هذا القلق ، وهو يأمر الجندى الواقف خلف المدفع الآلى ، فى سيارة (رالف) ، قائلا :

— استعد يا رجل ، وأطلق النار بلا تردد ، على أول من يرفض التعاون معنا هنا .

قالها بالعربية فى تحد واضح ، وهو يدير عينيه فى وجوه سكان الواحة فى صرامة وحزم ، ولكن شيخا عربيا وقورا اقترب منه ، بلحيته المهيبة ، وشعره الأشيب المسترسل ، وقال فى هدوء ، وكأنما لا يعنيه أمر المدفع الرشاش ، المصوب إلى صدره :

— لا داعى لكل هذا أيها الضابط .. إننا نعلم لماذا أتيتم هنا ، ولدينا الجواب .

كان هذا القول مباغتا لكابتن (سميث) ، الذى توقع الكثير من المكابرة والعناد ، كما يحدث فى كل مرة ، يحدث فيها احتكاك مباشر ، بينه وبين العرب ، فحدق فى وجه الشيخ لحظة فى دهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى غضب ، جعله يقول فى حدة :

— اسمع أيها الشيخ . .

ولكن الشيخ واصل حديثه بنفس الهدوء ، وكأنما لا تعنيه حدة (سميث) أبدا :

ــ لقد أتى من تبحثون عنــه إلى هنـا ، وتزود بالماء والمؤن ، ثم رحل مع ضيفه الألمـانى .

هتف (سميث) ، وقد عاودته دهشته بصورة أعظم هذه المرة :

ــ حضر ورحل ؟!

ومرة أخرى تحولت دهشته إلى نوبة غضب ، وهو يقول :

ــ اسمعنى أيها الشيخ .. لو أنك تخدعنى فسوف ..

هذه المرة قاطعته طلقة رصاص ..

رصاصة انطلقت من مرتفع رملى بعيد ، ولكن الهواء حمل دويها إلى آذان الجميع فى الواحة ..

والتفت الكل إلى حيث انطلقت الرصاصة ..

وارتفعت عيون الأجانب فى دهشة ..

فهناك .. فوق مرتفع بعيد ، جلس البدوى فوق جواده ، وأمامه الألمـانى ، منبطحا على ظهر الجواد ، وفى يد البدوى بندقيته ، يرفعها عاليا ، بعد أن أطلق منها هذه الرصاصة ..

وصرخ (رالف) فى دهشة :

ــ إنه هو ؟!

أما (سميث) فقد استشاط غضبا ، وهو يصرخ :

ــ يا للصفاقة !!.. يا للتحدى .

ثم صاح :

ــ انطلقوا خلفه .. أريده بأى ثمن ..

وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيهـا السيارتان ، أدار البدوى عنان جواده ، وانطلق مرة أخرى وسط الصحراء ، متحديا الغموض ..

ومواجها الموت ..

* * *

٤ ــ العاصفة ..

كل ما يحدث كان يدهش الالمانى ويثيره ، ويقفز بانفعالاته إلى الذروة ، على الرغم من ألمه وضـــعفه المتزايد ، اللذين غلبهما فضوله ، وهو يسأل البدوى :

ــ لمـــاذا فعلت هذا ؟.. لقد ارشدتهم إلى موضعنا ، وكان يمكننا ان نفر منهم تماما هذه المرة .

اجابه البدوى فى حزم :

ــ لم يكن ذلك البدين ليتورع عن ذبح كل سكان الواحة ، ليرشدوه إلى حيث اتجهنا ، ولم يكن احدهم ليخبـــره ، حتى لو فنوا على بكرة أبيهم .

هتف الالمـــانى فى دهشة :

ــ إلى هذا الحد ؟!

لم يجب البدوى ..

بدا له الجـــواب ســـاذجا تافهـــا ، لا يستحق حتى ان ينطقه ..

من الواضح ان هذا الالمـــانى يجهل الكثير عن طبيعـــة العرب ..

عن الشهامة ، والنخوة ، والشجاعة ، والكرامة ..

يجهل كل شىء عن عظمة كل ما هو عربى ..

ولم يكرر الالمـــانى سؤاله ..

كان قد فهم الشىء الكثير عن طبيعة هذا البدوى ..

واحترمه اكثر ..

وصمت الالمـــانى ، وابتلع آلامه وضعفه ، والبدوى ينطلق بالجواد نحو مرتفعات صخرية ضخمة وواسعة الانتشار ..

ثم ظهرت السيارتان من خلف تل بعيد ، وراحتا تحثـــان السير نحو الجواد ..

هنا فقط عاد إلى الالمـــانى توتره ، وقال :

ــ لقد ظهروا مرة أخرى ..

انتظر ان يسمع جوابا او تعليقا من البدوى ، إلا ان هذا الاخير لم ينبس بحـــرف واحد ، فراقب الالمـــانى اقتـــراب السيارات مرة اخرى ، وقال فى قلق :

ــ بهذه السرعة سيلحقون بنا حتما .

فى هذه المرة اجابه البدوى :

ــ ليس إذا بلغنا الممر اولا .

هتف الالمـــانى ، وقد انعشت هذه العبارة الأمل فى نفسه :

ــ اهو ممر بين تلك الجبال هناك ؟.. اهو اضيق من أن تعبره سيارة ؟

جاء جواب البدوى مخيبا لأمله ، وهو يقول :

ــ بل هو يكفى لمرور سيارتين متجاورتين .

قال الالمـــانى فى يأس :

ــ لمـــاذا تظننا سننجو لو بلغناه قبلهم إذن ؟

اجابه فى هدوء :

ــ الرمال ترتطم بقوائم الجواد فى قوة .

سأله الألماني في دهشة :

– وما الذي يعنيه هذا ؟

صمت البدوى لحظة ، ثم أجاب في حزم :

– يعنى الكثير .. هذه هي لغة الصحراء .. لغتنا .

قالها وقد بلغ الممر ، فاندفع بجواده يعبره في مهارة ، والجواد الأصيل يتجاوز بعض الصخور ، ويقفز فوق البعض الآخر ، وقد تزايدت سرعة الرياح ، وراحت حبيبات الرمال الصغيرة ترتطم بوجه الألماني ، الذي هتف :

– هذه الرمال مؤلمة .

أجابه البدوى في اقتضاب :

– إنها هو أملنا الوحيد .

كانا قد بلغا نهاية الممر عند هذه اللحظة ، وفوجىء الألماني بالبدوى يوقف جواده ، ويهبط عن صهوته ، ثم يبدأ في حمله هو لإنزاله ، فهتف :

– ماذا تفعل أيها العربي ؟ .. هل جننت ؟! .. إنهم يبعدون عنا مسيرة عشر دقائق فحسب ، وتوقفنا يعنى أن تنكمش المسافة بيننا وبينهم أكثر ، و ...

قاطعه البدوى في حزم :

– لن يمكنهم عبور الممر بعد خمس دقائق من الآن .

نطقها وهو ينزل الألماني ، ويرقده أرضا ، ثم يحل سرج جواده ، ويعمل في سرعة ؛ ليصنع منه شيئا أشبه بخيمة متينة ، تصد عنه وعن الألماني الرمال المتطايرة ، التي تضاعفت سرعتها وقوتها كثيرا ، في حين التصق الجواد بجدار الجبل ، راح يطلق صهيلا خائفا متصلا ..

وتمتم الألمانى فى توتر :

ــ إنها عاصفة .. اليس كذلك ؟

اجابه البدوى :

ــ بلى .

بعدها ساد الصمت بينهما تماما ، وراح الألمانى يراقب الممر ، الذى تفجرت داخله عاصفة جنونية من الرمال ، حجبت الرؤية تماما ..

إنها لغة الصحراء ..

لغة الحياة ..

والموت ..

* * *

ارتبك سائق سيارة كابتن (سميث) كثيرا ، وهو يقترب من الممر ، وراحت اصابعه ترتجف حول عجلة القيادة ، ثم لم يلبث ان ضغط كامح السيارة ، واوقفها على بعد امتار من مدخل الممر ، فصاح به (سميث) فى غضب :

ــ لماذا توقفت ؟

اجابه السائق فى توتر ، وهو يشير إلى عاصفة الرمال ، داخل الممر :

ــ لا يمكننى القيادة هناك يا سيدى .. ستدفننا الرمال تحتها احياء .

واسرع (رالف) يتدخل ، قائلا :

ــ هذا صحيح يا كابتن .. إنها عاصفة عتيدة ، ومن الافضل ان نتوقف .

تردد (سميث) لحظات ، ثم قال فى حدة :

ــ ولكن هذا البدوى سيفر .

قال (رالف) :

ــ لست اظن هذا يا سيدى .. لا ريب انه سيتوقف ايضا ، فالعاصفة اعتى من ان يواصل سيره وسطها .

حسم هذا القول الكثير من تردد (سميث) ، إلا انه هتف غاضبا :

ــ اللعنة على هذا الطقس !! إنها صحراء مجنونة كقاطنيها .. لقد نشأت هذه العاصفة القذرة فجاة .. وبلا مقدمات .

تمتم (رالف) :

ــ إنها طبيعة الصحراء يا سيدى .

ثم تنحنح مستطردا :

ــ اظننى سانتقل إلى سيارتك يا سيدى ، فهى الوحيدة ذات غطاء واق ، والرمال ترتطم بى على نحو مؤلم .

مط (سميث) شفتيه ، وغمغم :

ــ فليكن .. انتقل إلى هنا .

ووسط العاصفة جلس الجميع ينتظرون انتهاء غضبة الطقس ..

وبدء جولة جديدة من المطاردة ..

* * *

كان الموقف رهيبا ، والعاصفة تتزايد فى عنف ، وتبعث فى قلب الألمانى الكثير من الخوف والتوتر ، فى حين بدا البدوى هادئا ، ساكنا ، وكأنما ينتظر فقط انتهاء العاصفة ؛ ليواصل طريقه ، فساله الالمانى :

ــ يبدو انك قد اعتدت هذا .. اليس كذلك ؟

اتاه الجواب مقتضبا :

ــ بالطبع .

ازدرد الألمانى لعابه فى توتر ، وقال :

ــ شاقة هى حياتكم أيها العرب .

لم يجبه البدوى هذه المرة ، ولكن الألمانى كان يحتاج إلى مواصلة الحديث ؛ ليزيل به بعضا من رهبة الموقف ، فعاد يقول :

ــ لو نجونا من هنا لن انسى لك هذا الجميل ابدا ايها العربى ، ولو قدر لـ (المانيا) أن تجتاح هذه الدولة ، وتطرد منها البريطانيين ، فساعمل على أن يكون لك شان فيها .

عقد البدوى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لو حدث هذا ، فحاول الا تلتقى بى ابدا ، وإلا فسيكون الموت نصيبك .

هتف الالمانى فى دهشة :

ــ الموت ؟!

اجابه البدوى فى حزم :

ــ عندئذ ستكون احد من يحتلون بلادى ، والموت هو الجزاء الوحيد لك .

قال الالمانى ، محاولا تلطيف الموقف :

ــ ولكننى عدو لاعدائك .

قال البدوى فى بغض واضح :

ــ كل استعمار له حجة ، ينفذ منها إلينا .

شعر الالمانى بدهشة شديدة هذه المرة ، وتطلع إلى البدوى فى حيرة ، ثم ساله .

ــ لماذا تفعل كل هذا من اجلى إذن ، مادمت تبغضنى إلى هذا الحد ؟

اجابه البدوى فى حسم :

ــ لقد طلبت حمايتى ، وتقاليدى تجبرنى على الدفاع عنك ، ما دمت قد فعلت .

هتف الالمانى فى دهشة :

ــ حتى لو كنت عدوك .

قال البدوى :

ــ حتى لو كنت قاتل ابى وامى .

حدق فيه الالمانى فى دهشة بالغة هذه المرة ..

كان يستمع إلى منطق لم يتعامل به قط ..

بل لم يقرأ عنه ..

ولم يسمع به ..

ونبض قلبه بإعجاب جارف بغتة ، فهتف من أعماقه ، وبكل إخلاص :

ــ كم اتمنى لو كنت عربيا !!

رمقه البدوى بنظرة جانبيه ، دون أن يجيب ، فاستطرد الالمانى فى حرارة :

— اريد ان اصبح عربيا .

خيل إليه ان البدوى قد ابتسم ، من تحت لثامه ، فى سخرية ، ثم اشاح بوجهه فى صمت ..

وانقطع حبل الحديث ..

تماما ..

* * *

كانت ليلة ليلاء ، عصفت فيها الرياح ، وعربدت ، وحملت اطنانا من الرمال ، والقتها فى كل مكان ، مغيرة تضاريس الصحراء فى بساطة وسرعة ، كما يحدث فى كل العواصف ..

وانكمش البريطانيون الخمسة داخل السيارتين .. (سميث) و (رالف) فى سيارة مغطاة ، والجنود الثلاثة الآخرون فى سيارة عارية ..

ومضى الليل بطيئا .. طويلا ..

ثم اشرقت الشمس اخيرا فى الأفق ..

وهدات الرياح بغتة ..

وساد السكون ..

سكون رهيب مثير ، قطعه (سميث) ، وهو يهتف :

— اللعنة !.

نهض ينفض الرمال عن ثيابه العسكرية ، والقى نظرة على السيارة الاخرى ، حيث الجنود الثلاثة ، الذين بدوا شديدى التهالك ، وهم ينفضون كميات هائلة من الرمال ، ثم التفت إلى (رالف) ، الذى يحتل مقعد قيادة سيارته ، قال محنقا :

— لم اتصور ان ينتهى هذا الأمر السخيف ابدا !

قال (رالف) ، وما زالت حروف كلماته تحمل آثار ليلته العصبية :

— هكذا عواصف الصحراء .. تنشأ فجاة .. وتنتهى فجاة ، و ...

قاطعه صهيل جواد ، ياتى من الطرف الآخر للممر ، فادار عينيه إلى هناك ، وادار الجميع عيونهم معه ..

كان جواد البدوى هناك ، يضرب الأرض بقوائمه ، وإلى جواره ارتفعت يد ، بدا وكانها تبرز من قلب الرمال ، ثم برز البدوى ، وهو يحمل الألمانى من أسفل السرج ، ويحمل بندقيته باليد الأخرى ..

كان على بعد أمتار قليلة من السيارتين ؛ لذا فقد صرخ (سميث) ، وقد انتابه حماس جارف :

ـ ها هو ذا .. انقضوا عليه .

وعلى الفور زارت محركات السيارتين ، وانطلقت سيارة الجنود الثلاثة ، يقودها جندى ، وخلفها سيارة (سميث) ، يقودها (رالف) ..

وفى مؤخرة سيارة الجنود ، كان أحـــد الجنود الثلاثة يعد المدفع الرشاش للإطلاق ..

واتسعت عيون الالمـــانى فى ذعر ..

هذه المرة لا أمل فى النجاة ..

لا أمل قط ..

* * *

٥ ـ الرمـال ..

فى كل شعوب العالم ، وفى كل لغات الدنيا ، وكل تراث معروف ، سنجد قولا مأثورا ، أو مثـــلا شعبيا ، يشير إلى معنى اتفق عليه الجميع ..

الحياة مع الخطر تصنع أفضل أنواع الرجال ..

وهذا صحيح ..

كان ينبغى أن ترى ما حدث هناك ، فى ذلك الممر الصغير ، فى قلب الصحراء ، لتؤمن تماما بهذا المبدأ ..

لقد نشأ البدوى وترعرع فى قلب الصحراء ، بكل مخاطرها وصعابها ..

والفها ..

امتزج بها ..

صارت رمالها مهدا وفراشا له ..

عرفته وعرفها ..

فهمته وفهمها ..

وفى هذه اللحظة هناك ، عنـــدما انقضت عليـــه سيارتا (الجيب) ، كان يدرك جيدا ما ينبغى له أن يفعله ..

وفى سرعة ، فعله ..

رفع بندقيته إلى أعلى ، وأطلق رصـــاصتين على قمـــة الممر ..

وارتفع ذلك الهدير ..

هدير يعرفه كل بدوى ..

ويخشاه ..

ورفع البريطانيون رءوسهم إلى أعلى ..

وراوا صخورا صغيرة ترتجف فى أعلى الممر ، ثم تنفصل عن أماكنها ، وتهوى فوق الرءوس ، مع أطنان من الرمال ..

وصرخ (سميث) فى هلع :

ــ تراجع يا (رالف) .. تراجع ..

قفزت يد (رالف) فى توتر إلى عصا السرعة ، ووضعتها فى موضع العـــودة إلى الخلف ، وضغطت قدمه دواســـة الوقود ..

وسقطت فوقه الرمال ..

وارتفع صراخ الجنود الثلاثة ، على بعـــد أمتـــار داخل الممر ..

ولكن (رالف) تراجع بالسيارة ..

لقد نجح ونجا ، ولكن جنوده الثلاثة دفنوا أحيـــاء تحت الرمال ..

رمال الصحراء ..

واتسعت عينا (سميث) فى رعب وذهـــول ، والرمال ما زالت تنهمر ، ثم هتف بكل التوتر الكامن فى نفسه :

ــ اللعنة !!

كان (رالف) ينفض الرمال عن ثيابه فى عصبية ، عنـــدما أجابه :

ــ هذا العربى داهية يا سيدى .. داهية رهيب .

هتف (سميث)

ــ بل هو ثعلب .. ثعلب ماكر ..

ران عليهما الصمت ، بعـــد عبـــارة (سميث) ، ثم قال (رالف) فى تردد :

ــ يبدو اننا سنضطر للاعتراف بالهزيمة ، و ...

صرخ (سميث)

ــ اصمت .

ثم انتزع خريطة الصحراء ، راح يفردها فى عصبية بالغة ، وهو يقول :

ــ نعترف بالهزيمة أمام عربى ؟!.. هل أصابك الجنون يا (رالف) ؟.. إننى سأقتنص هذا الثعلب العربى المغرور ، حتى ولو تصور أنه قد أفلت منا .

فرد الخريطة أمام وجهه ، وتابع فى انفعال :

ــ هذا الحاجز الجبلى يمتد لثلاثة كيلومترات فحسب ، وكان يمكننا أن ندور حوله منذ البداية ، ولكن هـــذا البدوى الخبيث قادنا كالنعاج نحو هذا الممر ، وكأنما يتعمد إيقاعنا فى الفخ .

تمتم (رالف) فى تردد :

ــ يبدو هذا .

طوى (سميث) الخريطة فى حزم ، وهو يقول :

ــ حسنا .. سندور حول الجبل ، وسنواصل المطاردة وحدنا ــ انا وأنت ــ حتى نصرع ذلك البدوى ، ونستعيد الاسير الألمـــانى .. هيا .. ستقود أنت .. انطلق .

تنهـــد (رالف) فى استســـلام ، وأدار محرك السيارة ، وانطلق مرة أخرى ..

كان يعلم انها الجولة الاخيرة ..

جولة مع البدوى ..

ومع الصحراء ..

* * *

حاول الألمـــانى أن يبتسم فى وهن ، وهو يقول للبدوى :

ــ رائع أنت أيها العربى .. لقد قدت هؤلاء البريطانيين إلى الفخ بكل مهارة ، وأوقعت بهم ، و ...

قاطعه البدوى :

ــ هم قادوا انفسهم إليه .

تهالك جفنا الألمـــانى ، وراح جســـده يرتجف ارتجافة منتظمة ، لا تتوافق مع ارتجاجات الجـــواد ، وهـــو يحاول المحافظة على ابتسامته ، متمتما :

ــ هل التواضع أيضا من سمات العرب ؟

تطلع إليه البدوى لحظـــات فى صمت ، ثم تحسس جبهته المبللة بالعرق ، وقال :

ــ أنت مصاب بالحمى .

تمتم الألمـــانى :

ــ يبدو أنها النهاية .. لقد تلوث جرحى ، وفقدت الكثير من الدماء .

قال البدوى فى قلق :

ــ تماسك .. سنبلغ واحة أخرى بعد قليل ، وهنـــاك سيداويك شيخها بعقاقيرنا ، و ...

قاطعه الألمـــانى :

ــ لا يا رجل .. إنها النهاية .. إننى اشعر بهذا .

ثم أمسك كفه ، مستطردا :

ــ هيا .. اتركنى لهم .. اتركنى لهؤلاء البريطانيين .. سيوقفون مطاردتك حينذاك .

أوقف البدوى جواده ، وهو يقول فى لهجـــة رجل لا يقبل النقاش :

ــ محال .

هبط عن الجواد ، وأنزل الألمـــانى ، واتجه نحو صخرتين متعانقتين ، فى قلب الصـــحراء ، وأرقـــده بينهما ، ثم حمل سرجه ، وصـــنع له به مظلة ، راح ينثر فوقهـــا الرمال ، ليحجبها عن الأنظار ، ويغطى ســـاقى الألمـــانى بالرمال ، والألمـــانى يتمتم ، وهو يرتجف من الحمى :

ــ لا فائدة .

تجاهله البدوى تماما ، وهو ينتزع نطاقه ، ويبلله بالماء ، ثم يضعه على جبهة الالمانى ، ويمد يده له بزمزميته ، قائلا :

ـ اشرب .. المـــاء يخفف الحمى .

شرب الألمـــانى المـــاء دون حماس ، ثم قال :

ـ هل تخشى الاعتراف بالهزيمة أيها البدوى ؟.. لقـــد خسرنا السباق ؛ بسببى أنا ، وسيبلغ البريطانيون موقعنا حتما .

قال البدوى فى عمق :

ـ الله (سبحانه وتعالى) يمنح النصر لمن يشاء .

ابتسم الألمـــانى فى شحوب ، وهو يغمغم :

ـ بإصراركم أيها العرب .

اعتدل البدوى بغتة ، وأرهف سمعه لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ ابق هنا .

تمتم الألمـــانى :

ـ اطمئن .. إننى أعجز حتى عن تحريك سبابتى .

واندفع البدوى نحـــو جواده ، ووثب على صهوته ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة (الچيب) البريطانية ، وصرخ (سميث) داخلها :

ـ ها هو ذا .. الحق به يا (رالف) .. سنقتله هذه المرة .

انتـــزع مسدسه ، وصـــوبه إلى البدوى ، الذى ينطلق بجواده ، فهتف (رالف) ، وهو ينطلق بالسيارة نحوه :

ـ ولكن أين الألمـــانى ؟

صاح به (سميث) :

ــ دعك من الألمـــانى الآن ، فليذهب إلى الجحيـــم .. سنظفر بالبدوى أولا ، ثم نبحث عنه .

قال كلماته ، وراح يفرغ رصاص مسدســه خلف البدوى ، الذى ادار عنان جواده يمنة ويسرة فى مهارة ، متفاديا طلقات النيران ، ثم انطلق نحـــو بقعة مستوية ، وهو يحث جواده على الانطلاق نحوها فى إصرار ..

وفجأة ضـــغط (رالف) كامح السيارة ، فاندفع جســـد (سميث) البدين ليرتطم بزجاجها ، قبل أن يهتف فى ثورة :

ــ ماذا فعلت ايها التعس ؟.. لمـــاذا توقفت الآن ؟

أجابه (رالف) فى توتر :

ــ أشعر ان هذا العربى يقودنا إلى فخ آخر .

صرخ (سميث) :

ــ أيهـــا الجبان الرعديد .. إنك لا تستحق شرف نيـل رتبة ضابط ، فى جيش الإمبراطورية العظمى .

قال (رالف) فى عصبية :

ــ سيدى .. لا يحق لك ان ...

بغتة دفعه (سميث) فى غلظة خارج السيارة ، هاتفا :

ــ فيما بعد أيها الغبى .. إنك تضيع فرصة نادرة .

سقط (رالف) على الرمال ، خارج السيارة ، وعنـــدما اعتدل ، كان (سميث) يحتل مقعد القيادة ، ويهتف :

ــ انتظرنى هنا .. سأعود إليك برأس هذا العربى .

وانطلق بالسيارة خلف جواد البدوى ، و (رالف) يصرخ خلفه :

ــ انتظر يا سيدى .. انتظر .. إنه الأقوى فى هـــذه الساحة .. لسنا نعرف الصحراء كما يعرفها .

ولكن (سميث) تجاهله ..

أو أنه لم يسمعه ..

كانت كل حواسه تتجه نحو البدوى ..

لقد أصبحت قضية ثأر شخصى ..

أما البدوى ، فقد واصـــل عدوه بجواده نحو البقعـــة المستوية ، ثم انحرف يمينا بغتة ، وعـــاد مرة أخـــرى إلى اليسار ، ووثب بجواده فوق شىء ما ، ثم عـــاد ينطلق ، فانطلق (سميث) ضـــحكة ســـاخرة عصبية عالية ، وهو يهتف :

ــ لن يفيدك هذا أيها العربى .. سأسقطلك هذه المرة .

رفع مسدسه ، وصوبه نحـــو راس البدوى فى إحكام ، وأضاف :

ــ كما كنت اســـقط وحوش الغابات فى (كينيـــا) .. رصاصة واحدة فى الرأس ، و ...

وفجأة فقدت السيارة توازنها ، وارتجت فى قوة ، ثم بدت وكأنها تنزلق فوق ارض زلقة ، قبل أن يتوقف محركها دفعة واحدة ..

وصرخ (سميث) فى سخط ، وهو يحاول إدارة محـــرك السيارة مرة اخرى :

ـــ اللعنة !.. ماذا أصاب هذه السيارة اللعينة ؟

تعلقت عينـــاه بغتة بالبدوى ، الذى أوقف جواده على بعد امتار ، وراح يتطلع إليه فى صمت ، بوجهه الذى يخفى اللثام نصفه ، وعينيه السوداويين الحازمتين ..

وسرت رجفة مبهمة فى جسد (سميث) البدين ..

لمـــاذا توقف البدوى عن العدو ؟..

لمـــاذا لم يستغل الفرصة ؛ ليبتعد اكثر ، واكثر ؟.

ثم انخفض بصره فجأة ..

انخفض دون أن يخفض هو وجهه ..

عندئذ فقط ادرك (سميث) ما يحدث ..

كانت مقدمة سيارته تغوص ..

تغوص فى بحر من الرمال الناعمة ..

فى فخ جديد ، قاده إليه ذلك البدوى ..

واتسعت عينـــا (سميث) فى رعب ، وراح يتلفت حوله فى يأس ..

كان (رالف) بعيدا ..

والبدوى قريب ..

والسيارة تغوص فى بحر الرمال الناعمة فى سرعة ..

وصرخ (سميث) :

ـــ ما الذى فعلته بى ، أيها العربى الحقير ؟

لم ينبس البدوى ببنت شفة ..

لم يحرك ساكنا ..

بقى فوق جواده جامدا ، ممسكا بندقيته فى سكون وحزم ، كما لو كان تمثالا للصمود والقوة ..

وواصل (سميث) صراخه ، والسيارة تختفى فى بحـــر الرمال :

ـــ هل ستتركنى هكذا ، أيها العربى الوقح ؟.. هيا .. اخرجنى .. هيا .

بدا جسده البدين يغوص فى الرمـــال الناعمـــة ، بعد ان اختفت السيارة تماما ، فتولاه رعب هائل ، وهو يهتف :

ـــ قلت لك اخرجنى أيها العربى .. اخرجنى أو اقتلك .

رفع مسدسه نحو العربى ، وصرخ :

ـــ قلت سأقتلك .

كان جسده يغوص فى سرعة ، حتى بلغت الرمال عنقه ، فانتابه فزع جنونى ، وهو يصرخ :

ـــ أيها العربى الحقير .. أيها البدوى المـــاكر .

كل هذا دون ان تتحرك عضلة واحدة فى وجه البدوى أو جسده ..

وكل هـــذا و (رالف) يعـــدو بكل قوته نحو بحر الرمال الناعمة ، فى محاولة لإنقاذ رئيسه ..

ولكنه وصل متأخرا ..

لقد بلغ المكان ولم يعد هناك اثر لجسد (سميث) البدين ..
لقى المحتل الغاصب مصرعه ، فى قلب الصحراء ..
وفى هذه اللحظة فقط تحرك البدوى ..
ادار فوهة بندقيته ، وصوبها نحو (رالف) ، الذى هتف وهو يلقى مسدسه ارضا :
ـ لا .. إننى أستسلم .
كان قد ادرك الآن ان هذه ليست ساحته ..
وان البدوى هو السيد هنا ..
فى قلب الصحراء ..
وفى استسلام تام ، سار أمام جواد البدوى ، رافعا ذراعيه فوق راسه ، حتى بلغا الموقع ، الذى ترك فيه البدوى الالمانى الجريح ، فالقى (رالف) نظرة على الالمانى ، وقال فى توتر :
ـ اتصدق ان كل هذا قد حدث بسببك ؟
تمتم الالمانى بابتسامة شديدة الشحوب :
ـ إننى لفخور بهذا .
هز (رالف) راسه فى توتر ، ثم التفت إلى البدوى ، وقال :
ـ والآن ماذا ستفعل بى ؟.. هل ستقتلنى ؟
التقط البدوى زمزمية مياه ، والقاها إلى (رالف) ، وهو يقول فى حزم :
ـ اتبع غروب الشمس ، وستبلغ واحة صغيرة بعد مسيرة ساعتين ، وهناك يمكنك تدبير أمر عودتك .

هتف (رالف) فى دهشة :

ــ الا تخشى ان اعود للانتقام منك ؟

اجابه البدوى فى حزم رهيب :

ــ اذهب .

التقت عينـــا البدوى بعينى (رالف) لحظات ، ثم خفض هذا الأخير عينيه ، متمتما :

ــ سأذهب .

راقبه البدوى فى صمت تام ، وهـــو يبتعد ، حتى اختفى خلف تل رملى بعيد ، فى اتجاه الغرب ، وهنا قال الألمـــانى فى وهن :

ــ لست افهم !

التفت إليه البدوى ، وسأله :

ــ ما الذى تريد فهمه ؟

قال الألمـــانى ، وقد صار وجهه شاحبا كرمال الصحراء :

ــ لقد تركت البدين يلقى مصرعه ، فى قلب بحر الرمال الناعمة ، دون ان تمد له يد العون ، ثم تركت ذا الشارب الضخم يرحل ، دون ان تمسه بسوء !! .

رفع البدوى عينيه ، يتطلع إلى السماء وهو يجيب :

ــ لقد استسلم ذو الشارب ، وكان اعزل من السلاح ، وليس من شيمنا ان نقتل العزل ، اما البدين ، فقد ظل يحمل سلاحه حتى النهاية .

صمت لحظة ، ثم اضاف :

ــ ثم إنه لم يطلب عونا .

سأله الألمـــانى فى دهشة :

ــ اكنت ستنقذه لو فعل ؟

اجابه البدوى فى حزم :

ــ بالتأكيد .

ابتسم الألمـــانى ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ــ إنكم حقا افضل الفرسان ، أيها العرب .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، واضاف :

ــ أتتصور انك قد فعلت كل هذا ، دون أن تعرف حتى اسمى ؟

قال البدوى فى خفوت :

ــ وهل للأسماء قيمة ، فى مثل هذه المواقف ؟

أومأ الألمـــانى برأسه ، مغمغما :

ــ صدقت .. إننى لم ار حتى وجهـــك .. ولكن هـــذا لا يهم .. لم يعد يهم .

ثم زاغ بصره ، وهو يستطرد فى وهن بالغ :

ــ أريد أن أصبح عربيا مثلك .. ساعدنى كى أصـ ...

امتدت كلمته على هيئة شهقة خافتة ، تراخى بعدهـــا جسده كله ، وخبا بريق الحياة فى عينيه ، فانحنى البدوى يسبلهما فى خشوع ، ثم اعتدل قائلا :

ــ هيهات يا رجل .. العربى يولد عربيا .

لاذ بعدهـــا بالصمت تماما ، حتى انتهى من مواراة جثـــة الألمـــانى الثرى ، ثم وثب على صهوة جواده ، وبقى صامتا ، يتطلع إلى غروب الشمس ، وعيناه تتألقان ببريق جديد ..

لقد قاتل أعداءه ، فى مواجهة صريحة لأول مرة ..

وانتصر ..

ولقد استعذب هذا النوع من القتال ..

ولن يتوقف عنه ..

لن يتوقف حتى ينزح المحتلون عن ارضه ..

لقد استيقظت فى أعماقه روح الفارس ..

فارس هذه الصحراء ..

وفى حماس ، جذب البدوى عنان جواده ، وسمع صهيل الجواد القوى ، وهو يضرب قائمتيه الأماميتين فى الهواء ، وبعدها انطلق به فى قلب مملكته ..

فى قلب الصحراء ..

[تمت بحمد الله]

أمانى

(خواطـــر)

لم ألتق بها سوى مرتين ، لم تتجاوز دقائق الواحدة منهما عدد أصابع اليدين ، إلا أنه لم يكن من الســـهل أن يمضى اللقاءان فى بساطة ، كما يمضى اى لقاء آخر مع اخرى ..

هى بالذات كانت تحمل شيئا ، لابد أن يجذب انتبـــاه واهتمام اى اديب ، أو كاتب روائى ..

مجموعة من المتناقضات العجيبة ، اجتمعت كلها فى انثى واحدة ..

كانت تحيط نفسها بهالة من الوقار والالتزام ، تتناقض كثيرا مع انطلاقها وحريتها فى التعامل مع الآخرين ..

وكانت ــ وهو الاهم ــ تملك لسانا لا يعزف بين شفتيها إلا الحانا مرحة وكلمات فرحة ، فى حين كانت عيناها تحملان طنا من الحزن ..

حزن خفى ، عميق ، مثير ، يجـــدو وكأنه قد استطاب

(*) المفرد (امنيه) بالتشديد ، أما (أمان) فمردها (أمنية) .

العيش فى وجدانها ، حتى انحفر فى عينيها ، فبات جزءا من ملامحها وشخصيتها ..

وعندما التقت عيناى بعينيها لأول مرة ، خيل إلى ان هذا الحزن يرفع امامى لافتة ، تقول فى رجاء : ابحث داخلى عن قصة ..

عن رواية ..

ستجد لدى حتما مأساة ، تفوق ما تجهد ذهنك فى البحث عنه ، لتخطه بقلمك فوق اوراقك ..

وتمنيت لحظتها لو استطعت ..

لو جعلت من هذا الحزن مدادا لقلمى ، ومهدا لأوراقى ..

ولكننى لم استطع ..

لم تكن معرفتى بها تكفى لسؤالها عن احزانها ..

وما كنت اظنها لتجيب ..

سيبقى حزنها فى اعماقها وحدها ..

وسيظل لسانها يلهج بلحن مرح زائف ..

وستدفن قصتها فى اغوار نفسها ، وتخفيها خلف إطار وقارها ..

وسأظل انا احترق شوقا لقصتها ، واتمنى سماع مأساتها ..

ولكن من يدرى ؟..

إنها (أمانى) ..

مجرد (أمانى) ..

١ ــ عبث ..

« يبدو أن لدينا فأرا هنا .. »

انزعج (رفقى) فى شدة ، عندما نطقت زوجته هذه العبارة ، وتخلى عن الساعة الإليكترونية الدقيقة ، التى ينهمك فى إصلاحها ، والتفت إليها مرددا فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ــ فأر ؟!

لم يكن يزعجه شىء ، بقدر ما تزعجه الفئران ، فهو لا يشعر بالاشمئزاز منها فحسب ، وإنما يخشى عبثها بآلاته الدقيقة أيضا ، التى يتركها عادة على سطح مكتبه ، حتى ينتهى من إصلاح أو تصميم واحدة من الآلات الإليكترونية بالغة الدقة ، التى يعشقها ..

كان يحمل شهادة هندسية متخصصة فى الإليكترونيات ، وكان يجد لذته فى التعامل مع هذه الآلات الدقيقة ، والتفوق عليها ، حتى لقد طبقت شهرته الآفاق فى هذا المجال ، وراح الجميع يلجئون إليه ، لإصلاح موجه آلى ، أو جهاز تحكم صغير .. أو خلافهما ..

واتخذ (رفقى) لنفسه حجرة منعزلة ، من حجرات الڤيلا القديمة ، التى يسكنها منذ كان طفلا ، وجعل منها معملا خاصا له ، يحظر دخولها إلا على زوجته ، التى تقوم بتنظيفها مرة واحدة كل أسبوع ، وهى تحرص على عدم الاقتراب من مكتبه الخاص ، حيث يضع آلاته ..

ولهذا كان من المزعج للغاية أن تخبره زوجته بوجود فأر فى معمله الخاص ، ولهذا أيضا وجد نفسه يسألها فى عصبية :

ــ وكيف علمت بوجود هذا الفأر ؟

أشارت زوجته إلى الركن السفلى لباب المعمل ، وهى تقول :

ــ لقد قرض جزءا من الباب .

تطلع إلى حيث تشير ، ولاحظ تلك الفجوة الصغيرة ، التى بدت له شديدة الانتظام ، على نحو مثير للدهشة ، فعقد حاجبيه ، مكررا :

ــ فأر ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، وانحنى عند ركن الباب ، يفحص الفجوة فى اهتمام أكثر ..

كانت منتظمة بالفعل ، على هيئة نصف دائرة ، ذات حواف سوداء ناعمة ، جعلته يغمغم للمرة الثالثة :

ــ فأر ؟!

ثم استطرد فى توتر :

ــ ناولينى العدسة الكبيرة .

التقطت زوجته العدسة ، من بين أدواته فى حرص ، وناولته إياها ، ووضعها هو على عينيه وعاد يفحص الفجوة فى قلق ..

نعم .. إنها شديدة الانتظام ، حتى ليستحيل أن يصنعها حيوان بدائى كالفأر ، ثم إن أطرافها محترقة ، و ...

توقفت انكاره عند هذه النقطة ، ونهض يعيد العدسة إلى موضعها ، ويقول لزوجته فى صرامة :

ـ اتركينى وحدى الآن .

تطلعت إليه فى دهشة ، وقالت معترضة :

ـ المعمل يحتاج إلى تنظيف جيد .. الست ترى ان بقايا الشطائر ، التى تلقيها حولك فى إهمال ، هى التى جلبت هذا الفار ؟

دفعها امامه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ربما ، ولكننى اريد ان ابقى وحدى الآن .

صاحت ساخطة :

ـ حسنا .. ابحث إذن عمن ينظف وكرك هذا .

انصرفت محنقة ، فى حين أغلق هو الباب خلفها فى إحكام، ثم أسرع إلى مكتبه ، وفتح درجا سريا فيه ، ولم يكد يلقى نظرة على محتوياته ، حتى تنهد فى ارتياح ، وقال :

ـ حمدا لله .. إنها هنا .

اعاد الدرج إلى موضعه ، والتقط سماعة الهاتف ، وضغط أزرار رقم خاص ، وانتظر حتى اتاه صوت محدثه من الطرف الآخر ، فقال :

ـ صباح الخير يا (سمير) .. هناك امر عجيب يحدث هنا .

هتف (سمير) عبر أسلاك الهاتف :

ـ هل سرقوا اختراعك ؟

أجابه (رفقى) فى توتر :

ـ لا ، ولكننى اظنهم يحاولون .

قال (سمير) فى سرعة :

ـ سآتى إليك على الفور .

انهى المحادثة فى سرعة ، وادرك (رفقى) انه سيستقل سيارته ، ويهرع إليه على الفور ، فأعاد سماعة هاتفه إلى موضعها فى بطء ، وسبح عقله فى ذكريات قريبة ..

كان عشقه للإليكترونيات الدقيقة ، ودراسته لها ، قد امتزجا فى عقله المتفوق ، وانجبا اختراعا جديدا ..

ساعة إليكترونية حديثة ، لا تحتاج إلى اية طاقة محركة ، وإنما تستمد طاقتها من نبض معصم من يرتديها ..

ولقد تسرع بعرض الفكرة على بعض أقرانه ، فى لحظة غلبه فيها الزهو بنفسه ، فنقلها احدهم إلى وكيل إحدى شركات الساعات العالمية ، وراح هذا الوكيل يلح عليه لشراء اختراعه ، ولكنه رفض رفضا باتا ، معلنا انه لن يهب اختراعه هذا إلا لوطنه فقط ..

ومنذ ذلك الحين ، يراوده الخوف من محاولة هذه الشركة الاجنبية بسرقة اختراعه ..

ومنذ ذلك الحين ايضا ، يخفى الساعة فى الدرج السرى ، المختفى فى مكتبه ، حتى ينتهى من صنعها ، ويعلن كشفه على الملأ ..

تحسس موضع الدرج السرى مرة اخرى ، وكأنما يطمئن

على وجود الساعة ، ثم التفت إلى الفجوة المنتظمة فى ركن الباب السفلى ، وغمغم :

— ترى ما الذى يحاولونه بالضبط ؟

شرد بأفكاره لحظات ، حتى سمع طرقا على الباب الآخر للحجرة ، الذى يقوده إلى الحديقة ، فأسرع يفتحه قائلا :

— صباح الخير يا (سمير) .. كنت أعلم أنك ستصل على الفور .

صافحه (سمير) فى لهفة ، ثم سأله :

— ما الذى أثار شكوكك ؟.. ما الذى فعلوه هذه المرة ؟

أشار (رفقى) إلى الفجوة ، قائلا :

— هذا ما فعلوه .

عقد (سمير) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الفجوة ، وقال فى دهشة تحمل رنة قلق :

— ما معنى هذا ؟

ناوله (رفقى) عدسته ، وهو يقول فى عصبية :

— افحصها يا (سمير) .

تناول (سمير) العدسة ، وانحنى يفحص الفجوة المنتظمة فى اهتمام بالغ ، ثم اعتدل قائلا :

— ما الذى تظنهم يحاولونه ؟

أجابه (رفقى) فى حدة :

— سرقة الاختراع بالتأكيد .

نهض (سمير) قائلا :

— بوساطة هذه الفجوة ؟!

هز (رفقى) كتفيه ، وقال :

— من يدرى أية وسيلة سيتبعون ؟

لم يبد الاقتناع على وجه (سمير) ، الذى راح ينقل عينيه بين بابى الحجرة ، قبل أن يقول :

— يبدو أنه علينا أن نبحث عن تفسير آخر يا (رفقى).

قال (رفقى) فى عصبية :

— ولماذا ؟

أشار (سمير) إلى الباب المؤدى إلى الحديقة ، وقال :

— لأنه ليس من المنطقى أن يتجاهل أى مقتحم هذا الباب ، الذى لا يقود إلا إلى حديقة صغيرة ، يمكنه أن يختفى فيها ، وهو يؤدى عمله ، دون أن يشعر به أحد ، ويخاطر بدخول الفيلا ، وعبور ردهتها كلها ، للوصول إلى الباب الآخر .

كان التفسير منطقيا للغاية ، حتى أن (رفقى) قد شعر بالارتباك ، فغمغم :

— من تظنه فعل هذا إذن ؟

تطلع (سمير) إلى الفجوة فى حيرة ، وهز رأسه ، قائلا :

— لست أدرى .. ربما ..

قاطعه (رفقى) فى عصبية وتوتر :

— لا تقل لى إنها الفئران ، كما تقول زوجتى .

اتسعت عينا (سمير) فى ارتياع مباغت ، وهتف :

— الفئران ؟!.. يا إلهى !!

ارتفع حاجبا (رفقى) فى دهشة ، لم تلبث أن انقلبت إلى قلق عارم ، وهو يسأل صديقه :

– ما الذى اثار ذعرك إلى هذا الحد ؟

هتف به (سمير) :

– الم تقرأ صحف الصباح ؟

تضاعف قلق (رفقى) ، وهو يجيب :

– لا .. لم افعل بعد .. لماذا ؟

ازدرد (سمير) لعابه ، وكأنما يحاول التغلب على انفعاله ، وقال :

– هناك خبر صغير ، يتحدث عن عالم امريكى ، يجرى أبحاثا مشتركة مع احد علمائنا ، فى المركز القومى للبحوث ، حول تنمية ذكاء الفئران ، وتدريبها على القيام باعمال خاصة ، تفيد الجهات العسكرية .

ساله (رفقى) فى حيرة :

– وما الذى يعنيه هذا ؟

تابع (سمير) ، وكأنه لم يسمع تعليق صديقه :

– ولقد نجح العالمان فى تنمية ذكاء الفئران إلى درجة كبيرة ، ودرباها على استخدام أسلحة ليزر صغيرة ، والتسلل إلى مراكز الأعداء ومخازن ذخيرتهم ، و ...

قاطعه (رفقى) فى توتر وقلة صبر :

– وما صلة هذا بموقفنا ؟

ازدرد (سمير) لعابه فى صعوبة ، وقال :

– باختصار صارت هذه الفئران اشبه بكتيبة انتحارية صغيرة ، و ...

لم يطق (رفقى) صبرا ، وهتف :

– وماذا ؟

تطلع إليه (سمير) فى قلق واضح ، واجاب :

– ومع غروب شمس أمس ، حدث ما لم يتوقعه احد .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

– هربت الفئران .

عندئذ ادرك (رفقى) ما يعنيه صديق عمره .. وارتجف ..

* * *

٢ ــ الحرب ..

مستحيل !!

ردد (رفقى) هذه الكلمة فى اعماقه الف مـرة ، وهـو يتطلع إلى الفجوة المنتظمة ، بعد انصراف (سمير) ..

ولم ينجح عقله فى الاقتناع بالامر ابدا ..

مستحيل ان يكون هذا المتسلل مجرد فأر !!..

مستحيل !!..

دار الأمر فى ذهنه عشرات المرات ، ثم التقط عدسته فى عصبية ، وانحنى يفحص الفجوة مرة أخرى ..

فجوة منتظمة ، محترقة الأطراف ..

ما الذى يمكنه ان يصنع مثل هذه الفجوة ؟..

قفز الجواب إلى ذهنه ، وارتجف له قلبه ..

نعم .. إنها اشعة الليزر ..

فئران مزودة بمدافع ليزر صغيرة ..

حاول ان يتخيل الفئران ، وهى تحمل أسلحتها الصغيرة ، وتطلقها على الباب ، إلا ان المشهد بدا له اشبه برسم هزلى ،

من رسوم (والت ديزنى)(*) فهز رأسه ينفضه عنه ، وعاد يكرر :

ــ مستحيل !

إلا ان الفكرة ــ على الرغم من غرابتهـا ــ لم تفـارق ذهنه ، بل راحت تلح عليه فى إصرار عجيب ، جعله يتمتم فى خفوت ، وكأنما يتحدث إلى نفسه :

ــ ولمـاذا تتسلل هذه الفئران إلى معملى ؟.. ما الذى تبحث عنه ؟

طافت بذهنه صورة العدد والأدوات الإليكترونية الدقيقة ، التى يمتلكها فى معمله ، وقفزت إلى ذهنه فكرة مخيفة ، جعلته يغمغم :

ــ أمن الممكن ان ... ؟..

لم يستطع إتمام جملته ..

كانت الفكرة مخيفة وخيالية للغاية ..

(*) (والت ديزنى) (١٩٠١ ــ ١٩٦٦م) : رسام ومخرج امريكى ، يعد أحد مبتكرى الرسوم المتحركة ، وصاحب شخصية (ميكى ماوس) (١٩٢٨م) ، ومنتج أول فيلم روائى من افلام الرسوم المتحركة (سنوهوايت والأقزام السبعة) (١٩٣٨م) ، اقام مدينة (ديزنى لاند) للملاهى ، وهى اشهر مدن الملاهى فى العالم ، وافتتحها عام ١٩٥٥م فى (كاليفورنيا) .

ربما كانت هذه الفئران الذكية تسعى لصنع سلاح إليكترونى قوى ..

سلاح يمنحها القدرة على الدفاع عن أنفسها ضد البشر ، أو ...

أو السيطرة عليهم ..

وراح عقله يرسم صورة منطقية لهذه الفكرة العجيبة ، ويتصور هذه الفئران ، وهى تنتج جيلا من الفئران المتطورة ، القادرة على التسلل إلى المفاعلات النووية ، ومراكز الذخيرة ، وتفجيرها ، أو تهديد العالم بذلك ..

إنها حرب جديدة ..

حرب بين البشر والفئران ..

ارتاع للفكرة ، وعاد يحدق فى الفجوة برعب ، ثم لم يلبث أن استدار إلى مكتبه ، وراح يفتح أدراجه فى قلق ، ويفحص ما لديه من أدوات ، وهوى قلبه بين ضلوعه ..

لقد تحققت مخاوفه ..

لقد اختفت دائرة من دوائر السيليكون الدقيقة ..

لقد سرقت الفئران أول قطعة ، فى السلاح الجديد ..

أغلق أدراج مكتبه ، وراح قلبه ينبض فى عنف ..

لماذا وقع اختيارهم عليه ؟..

لماذا انتقوه من بين بنى البشر ؟..

هل يعلمون أنه يحتفظ بمثل هذه الأشياء ؟..

هل يدركون مهارته فى التعامل مع الإليكترونيات الدقيقة ؟..

أم هو القدر ..؟

القدر الذى قادهم إليه بالذات ؛ لأنه خير من يواجههم ، وينقذ العالم من خطتهم الجهنمية ..

نعم .. سيواجههم ..

سيشعل الحرب بينه وبينهم ..

وبكل ما ملأ نفسه من الحماس ، اندفع إلى حيث زوجته ، وسألها فى انفعال :

ـ كيف تصطادون الفئران ؟

حدقت فى وجهه بدهشة ، وخيل إليها أنه قد أصيب بالجنون ، إلا أنها آثرت اتقاء ثورته ، التى تنتابه عندما تعارضه ، وهو يمر بحالة غضب أو حماس ، فأجابت فى حذر :

ـ ضع مصيدة فئران .

سألها فى اهتمام :

ـ وما مصيدة الفئران هذه ؟

ضحكت قائلة :

ـ عجبا !!.. كل هذه العبقرية ، وتجهل ما هى مصيدة الفئران ؟.. إنها عبارة عن قفص من الأسلاك ، له باب يتحرك فى اتجاه واحد ، توضع داخله قطعة من الجبن ؛ لجذب الفئران ، وعندما يدخل الفأر إلى المصيدة ، يغلق بابها خلفه ، فيصبح حبيسا داخلها .

عقد حاجبيه يفكر فى هذه الوسيلة ، التى بدت له بدائية للغاية ، ثم هز رأسه ، قائلا :

ـ لا .. ليست بالوسيلة المناسبة .

قالت فى ضجر :

ـ ضع لها بعض السم فى قطعة لحم صغيرة إذن .

أجابها فى جدية :

ـ لن يخدعهم هذا .

أطلقت ضحكة عالية ، وقالت :

ـ لماذا ؟.. أهى فئران ذكية إلى هذا الحد ؟

كاد يشرح لها الأمر ، ويؤكد لها أن الفئران التى يواجهها ذكية بالفعل ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع عن هذا ، لثقته بأنها لن تستوعب الأمر ، واكتفى بأن تمتم :

ـ ربما كانت كذلك بالفعل .

قالت ساخرة :

ـ لا تعاملها كفئران إذن .

لم ينتبه إلى رنة السخرية فى صوتها ، وإنما أومأ برأسه قائلا :

ـ أنت على حق .

أدهشها أن أسرع ينصرف ، بعد هذا القول ، فتابعته ببصرها فى حيرة ، قبل أن تهز رأسها فى أسف ، قائلة :

ـ يا لحظى فى الزواج !

أما هو ؛ فقد اتجه على الفور إلى معمله ، وأغلقه خلفه فى إحكام ، ودفع صندوقا صغيرا نحو الفجوة ؛ ليسدها تماما ، قبل أن يبدأ عمله ..

وانهمك فى عمل بالغ الدقة ..

كان يصنع جهازا إليكترونيا خاصا ، انتهى من صنعه فى ساعة كاملة ، ثم راح يثبت جزئيه فى نقطتين متقابلتين عبر المعمل ، حتى انتهى من عمله ، فاعتدل يتأمل نتيجته فى ارتياح ، وقال :

ـ سأتعامل معها كما ينبغى .

فرك كفيه مزهوا بعمله ، وهو يزيح الصندوق الصغير جانبا ، كاشفا الفجوة ، ثم يغادر معمله ..

لقد صنع السلاح المناسب لهم ..

عندما يعبر هؤلاء الفئران الفجوة فى المرة القادمة ، لسرقة اداة إليكترونية اخرى من معمله ، سيقطعون بأجسادهم خيطا غير مرئى من الأشعة دون الحمراء ..

وعندئذ يعمل جهازه ..

سينطلق جهاز إنذار خاص، ويسقط حاجز أمام الفجوة ..

وسيسجن الفئران فى معمله ..

ابتسم فى سعادة لبراعة فكرته ، وقضى ما تبقى من يومه فى لهفة لقدوم الليل ، وبدء حربه الخاصة ..

وخيل إليه أن الدقائق تمضى كالساعات ، والساعات تسير كالدهور ..

ولكن لكل شىء نهاية ..

اقبل الليل ، ومد استاره على الدنيا كلها ، واخلدت معظم مخلوقات الله (عز وجل) إلى النوم ، فيما عدا القليلين منهم ..

ومن هؤلاء القليلين كان (رفقى) ..

والفئران ..

وبالنسبة لـ (رفقى) مضى الليل بطيئا ، دون أن يغمض له جفن ..

ثم انطلق الإنذار فجأة ..

ومع انطلاقته ، انتفض جسد (رفقى) فى شدة ، وهبت زوجته من نومها مذعورة ، وتشبثت به فى ذعر ، هاتفة :

ـ ماذا حدث ؟

أزاح يدها فى انفعال ، وهو يقول :

ـ لا شىء .. عودى إلى النوم .. إنها تجربة صغيرة ، كنت أجريها فى معملى .

تمتمت فى دهشة :

ـ تجربة ؟!

اجابها وهو يرتدى خفيه فى سرعة :

ـ نعم .. تجربة .. هيا .. عودى إلى النوم .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تراقبه يهرع خارج الحجرة ، ثم لم تلبث أن غمغمت فى أسى :

ـ ما أسوأ حظى فى الزواج !

وعادت تغرق فى نوم عميق ..

وفى نفس الوقت ، كان (رفقى) قد بلغ معمله ، واللهفة تملأ جسده ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ..

ولكن فجأة تلاشت كل هذه اللهفة ، عندما بلغ باب المعمل ..

تلاشت ليحل محلها الخوف ، الممتزج بالكثير من القلق ..

كيف سيواجه هذه الفئران ..

هل نسى انها تحمل مدافع ليزر صغيرة ، نجحت فى صنع نجوة فى باب معمله ؟..

ماذا لو انها اطلقت هذه المدافع عليه ؟..

اقلقه هذا الخاطر لحظات ، تسمر خلالها امام باب معمله ، ثم لم يلبث فضوله ان هزم قلقه ، فقال فى توتر :

ــ لن تقتلنى تلك المدافع الصغيرة حتما .

تشبث بالفكرة ، وتحرك بسرعــة ، خشــية ان يعاوده خوفه ، ففتح باب المعمل ، ودلف إليــه فى خفــة ، ثم اغلق الباب خلفه فى إحكام ، واضاء الانوار ..

وتحت الاضواء القوية ، بدا له المعمل خاليا ..

خاليا تماما ..

وامتلأت نفسه بالدهشة ..

لقد انطلق الإنذار بالفعل ، وهذا يعنى ان جسما ما قد عبر خيط الاشعة دون الحمراء ، واغلقت الفجوة خلفه ..

فاين هذا الجسم ؟..

اين الفئران ؟..

دارت عيناه فى ارجاء المعمل كله ، ثم توقفت عند مكتبه ، وصوان الادوات الصغير المجاور له ..

هذا هو المكان الوحيد الصالح للاختباء ..

اتجه بسرعة نحو مكتبه ، وراح يفحص ادراجه فى حذر ..

ولكن الادراج كلها كانت خالية ..

وتضاعفت حيرة (رفقى) ..

كيف انطلق الإنذار إذن ؟..

كيف عمل ، دون ان يخترق شىء ما خيط الأشــعة دون الحمراء ؟..

وفجاة وقع بصره على صوان الادوات الصغير ، وبالتحديد على تلك الفرجة الضئيلة ، بينه وبين زاوية الحائط ..

كانت مسافة صغيرة بالنسبة لقط ، لكنهـا كبيرة بالنسبة لفار ..

وبالذات لو كان فارا ذكيا .

نعم .. إنها اصلح مكان للاختفاء ..

بقى يتطلع إلى المسافة المظلمة فى حــذر ، ثم لم يلبث ان حسم امره ، وقرر فحصها ..

وفى حزم ، ازاح مكتبه جانبا ، ثم ركع على ركبتيه ، وانحى ينظر فى الفرجة المظلمة ..

وانتفض جسده ..

كانت هذه العيون الصغيرة تحدق فيه وسط الظلام ..

ثم تألق جسم بالغ الصغر ..

وانطلق خيط من الأشعة ..

وأظلمت الدنيا أمام (رفقى) تماما ..

وهوى ..

* * *

٣ ــ من ؟!..

« لقد عثرت عليه فى هذا الوضع .. »

تسللت هذه العبارة ، بصوت زوجته إلى أذنيه ، مخترقة حاجزا من الصداع والألم ، جعله يغمغم :

ــ أين أنا ؟

عاودته ذاكرته فى بطء ، وهو يفتح عينيه ، والمشهد يبدو أمامه مهتزا مشوشا ، ثم يتضح تدريجيا ، ويبدو فيه وجه صديقه (سمير) ، وهو ينحنى نحوه فى قلق ، ومن خلفه وجه زوجته ، التى تقول فى لهفة :

ــ لقد استعاد وعيه .

أمسك (سمير) كتفيه ، وسأله فى اضطراب :

ــ ماذا حدث يا (رفقى) ؟

أجابه وهو يقاوم ذلك الرنين المؤلم ، الذى يعصف برأسه :

ــ لقد أطلقوا على أشعة الليزر .

عقدت زوجته حاجبيها فى دهشة ، فى حين سأله (سمير) فى حيرة :

ــ أشعة الليزر ؟!.. من هؤلاء ؟

أجابه ممسكا رأسه من الألم :

ــ الفئران .

اتسعت عينا (سمير) فى دهشة ، وتراجعت زوجة (رفقى) فى حدة ، وراحت تحدق فى وجه زوجها ، كما لو كانت تنظر إلى مجنون ، و (رفقى) يستطرد فى توتر :

ــ انظر .. لقد اصابتنى الاشعة فى منتصف جبهتى تماما .. هل ترى الثقب الذى تركته فيها ؟

التقى حاجبا (سمير) ، وهو يقول :

ــ لا توجد ثقوب .

ثم التفت إلى زوجة (رفقى) ، واضاف :

ــ سيدتى .. اظن زوجك يحتاج إلى قدح من القهوة المركزة .

تطلعت إليه الزوجة فى صمت ، ثم اسرعت تغادر المكان ، وكانها ترحب بابتعادها عن وكر الجنون هذا ، فى حين عاون (سمير) صديقه على النهوض ، واجلسه على مقعده الخاص ، وهو يساله :

ــ اخبرنى الآن ، ماذا حدث بالضبط ؟

اجابه (رفقى) ، وآلام راسه تتلاشى فى بطء :

ــ هل تذكر فئران مركز البحوث ؟.. تلك الفئران الهاربة .. إنها هنا .

تراجع (سمير) ، هاتفا فى دهشة :

ــ هنا ؟!

اوما (رفقى) براسه إيجابا ، وقال :

ــ نعم .. هنا .. إنها تحاول سرقة بعض معداتى الإليكترونية ؛ لصنع سلاح جديد ، يمنحها المزيد من القوة ، و ...

قاطعه (سمير) :

ــ (رفقى) .. ماذا بك ؟.. يبدو انك قد ارهقت نفسك فى العمل .

صاح (رفقى) فى عصبية :

ــ اتظننى قد اصبت بالجنون ؟

اجابه (سمير) :

ــ لا يا (رفقى) .. بالتاكيد لا .. وإنما تبذل جهدا زائدا فى عملك ، و ...

قاطعه (رفقى) فى حدة :

ــ لا يا صديقى .. لست واهما او مجنونا .. انظر هناك .. لقد وضعت خلية كهروضوئية هنا ، لضبط من يتسلل عبر الفجوة .. انظر إليها .. لقد حطمها هؤلاء الفئران ، بعد ان افقدونى الوعى ، واراهنك انهم قد سرقوا شيئا آخر .

فتح ادراج مكتبه فى عصبية ، وراح يحص اشياءه ، ثم صاح :

ــ ارايت ؟ لقد سرقوا واحدة من شاشات الكوارتز البالغة الدقة .. ارايت ؟

شعر (سمير) بقلق حقيقى تجاه صديقه ، فنهض يربت على كتفيه ، ويغمغم مشفقا :

ــ لا باس يا (رفقى) .. انا اصدقك .

صرخ (رفقى) :

ــ بل انت تتصور اننى مجنون .

سمع (سمير) ارتجافة قدح القهوة ، فى يد الزوجة ، التى عادت إلى المعمل فى هذه اللحظة ، ولكنهـا لم تحاول تجاوز بابه ، فأسرع يلتقط منها قدح القهوة ، وهو يقول :

ـ شكرا يا سيدتى .

همست الزوجة فى ارتياع ، وهى تتطلع إلى زوجها :

ـ اخبرنى يا استاذ (سمير) ، ولا تحاول إخفاء الأمر عنى .. هل اصيب بالجنون ؟

حاول (سمير) ان يبتسم ، أو يدفع بعض الثقة فى صوته ، وهو يقول :

ـ لا ياسيدتى .. اؤكد لك ان هذا لم يحدث .

ولكن صوته خلا من تلك النبرة الواثقة ، التى عجزت عن تجاوز قلقه وشـكوكه ، فجاءت اشـبه بإقرار تام بالأمر ، فاتسعت عينا الزوجة هلعا ، وهتفت :

ـ هل اتصل بمستشفى الأمراض الـ ....

قاطعتها صرخة (رفقى) الغاضبة :

ـ اى مستشفى ايتها المأفونة ؟. إذهبى إلى حجرتك .. هيـا .

ركضت الزوجة مبتعدة عن المعمل فى ذعر ، فى حين تنحنح (سمير) فى حرج ، وقال وهو يضع قدح القهوة أمام صديقه :

ـ اغفر لى تدخلى فى شـئونك الشخصية يا صديقى ، ولكننى اظنك تسىء معاملة زوجتك كثيرا ، فى حين انها كانت شديدة الذعر والقلق ، عندما عثرت عليك فاقد الوعى هنا ، ومن الواضح انها تحمل لك الكثير من الحب ، و ...

قاطعه (رفقى) :

ـ دعك من مشاكلى العائلية الآن ، واخبرنى : الا توجد اية ثقوب فى جبهتى حقا ؟

تطلع إليه (سمير) فى دهشة ، واجاب :

ـ لا توجد اية ثقوب بالتاكيد يا (رفقى) ، ولكن لمـاذا تتصور وجودها ؟

تراجع (رفقى) فى مقعده متوترا ، والتقط قدح القهوة ، وافرغه كله فى جوفه دفعة واحدة ، ثم سعل وتنحنح ، وسأل صديقه ، وقد استعاد شيئا من هدوئه :

ـ قل لى يا (سمير) : لمـاذا تظننى فقدت الوعى هنا ؟

هز (سمير) راسه فى حيرة ، وقال :

ـ اتمنى ان اعلم .

مال (رفقى) نحوه ، وقال :

ـ اسمعنى جيدا إذن ، وحاول أن تبعد عن عقلك فكرة إصابتى بالجنون ، وسـتجد اننى على حق ، على الرغم من غرابة الأمر .

راح يقص كل ما دار بخاطره ، وكل ما حدث ، على مسامع صديقه ، الذى استمع إليه فى دهشة ، وكثير من الشك وعدم التصديق ، حتى انتهى (رفقى) إلى لحظة انطلاق الأشـعة نحوه ، وفقدانه الوعى ، فهتف (سمير) فى دهشة :

ـ هل رايت تلك الفئران بالفعل ؟

اجابه (رفقى) فى حماس :

ـ رايت عيونها الصغيرة ، وهى تتالق فى الظلام ، قبل ان تطلق اشعتها نحوى .

تراجع (سمير) فى دهشة ، وراح يهز راسه فى حيرة ، ثم قال :

ـ ولكنها لم تطلق عليك اشعة الليزر بالتاكيد ، فراسك لا يحمل اية آثار للإصابة بها .

قال (رفقى) :

ـ إنه نوع آخر من الأشعة إذن ، فمن المحتمل ان هذين العالمين فى مركز البحوث يخفيان نوع الأشعة الحقيقى ، او انهما مضطران لإخفائه ، لأسباب عسكرية ، ولكننى شعرت بآلام مبرحة فى راسى ، عندما اصابتنى هذه الأشعة .

زوى (سمير) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـ هذا عجيب !!

ثم نهض مستطردا :

ـ الأمر يحتاج إلى بحث جاد يا صديقى .. وعلى اية حال ، سأحاول انا من ناحيتى دراسة الأمر ، وسؤال عالمى مركز البحوث عن حقيقة هذه الفئران .

سأله (رفقى) فى لهفة :

ـ اتظنهما سيخبرانك بالحقيقة ؟

هز (سمير) كتفيه ، وقال :

ـ لا بأس من المحاولة .

انصرف (سمير) ، والشك يمتزج فى أعماقه بالحيرة ، فى حين بقى (رفقى) يتطلع إلى معمله ، و يغمغم :

ـ نعم .. لا بأس من المحاولة .

تذكر موقفه مع زوجته ، فغادر معمله ، وبحث عنها فى الفيلا ، حتى عثر عليها تبكى فى حجرة نومهما ، ولم تكد تراه حتى انكمشت على نفسها فى خوف وذعر ، فابتسم محاولا تخفيف توترها ، وجلس إلى جوارها على طرف الفراش ، واحاط كتفها بذراعه ، وهمس :

ـ انا اعتذر .. لقد كنت سخيفا معك بالفعل .

تطلعت إليه فى دهشة ، فلم يسبق له أن جاهر قط بالاعتذار ، منذ خطبتهما وزواجهما ، فمسحت دموعها بأناملها ، وتمتمت :

ـ إننى حزينة من اجلك .

ادرك ما تعنيه ، وانها لن تفهم ما يحدث ، فأجبر نفسه على الابتسام فى مرح زائف ، وهو يقول :

ـ اتقصدين قصة الفئران ؟!.. إنه حلم يا عزيزتى .. حلم سخيف ، او هو كابوس هاجمنى ، وانا فاقد الوعى ، وعند استعادتى وعيى ، خيل إلى انه حقيقة .. انت تعلمين تشوش الذهن ، عندما يستعيد المرء وعيه .

سألته فى دهشة :

ـ ولكن لماذا فقدت الوعى ؟

اجابها فى سرعة :

ـ انزلقت وانا افحص المكتب ، فارتطم راسى بصوان الأدوات الصغير .. هذا كل شىء .

تطلعت إليه لحظات فى شك ، ثم تنهدت قائلة :

ـ كل هذا من اجل الفئران ؟!

ابتسم مرغما ، وقال :

ـ وماذا افعل ؟.. إنه نوع سخيف من الفئران ، لا تخدعه المصائد العادية .

قالت فى خفوت :

ـ استخدم الدقيق إذن .

سألها فى دهشة :

ـ أى دقيق ؟

ابتسمت وهى تجيب :

ـ إنها وسيلة قديمة ، كانت تستخدمها جدتى ؛ لمعرفة أوكار الفئران ، والقضاء عليها فى جحورها .

اعتدل فى اهتمام شديد ، وسألها :

ـ كيف ؟

أجابته ، وقد اسعدها اهتمامه بحديثها :

ـ كانت جدتى تنثر بعض الدقيق فى ارضية المطبخ ، لتتطبع فوقه آثار اقدام الفئران ، فتعلم جدتى من أين جاءت ، وإلى أين تذهب ، و ...

قفز من مكانه ، مقاطعا إياها بهتاف مدو :

ـ نعم .. هو ذا .

تراجعت فى دهشة وخوف ، وهى تقول :

ـ ماذا حدث ؟

انحنى يقبل وجنتها فى حرارة ، وهو يهتف :

ـ لقد ساعدتنى كثيرا يا عزيزتى .. شكرا لك .. شكرا لك .

وانطلق يعدو عائدا إلى معمله ، واتسعت عيناها هى فى دهشة ، ثم انحدرت دمعة حزن من عينيها ، وهى تغمغم :

ـ يا لحظى !!

وفى معمله ، بحث (رفقى) فى ادراج المكتب فى لهفة ، ثم انتزع بخاخة صغيرة ورفعها أمام عينيه ، وقال فى انفعال :

ـ أخيرا سيمكننى استغلال هذه الهدية .

وفى حماس ، راح ينثر السائل الخفيف غير المرئى ، على أرضية المعمل ، وهو يتراجع فى حذر ..

كان هذا السائل من نوع خاص، لا يمكن رؤيته إلا بوساطة منظار خاص ، وكان المفروض أن يستخدمه لرش أجزاء بالغة الدقة ، تمثل بعض الدوائر الخاصة ، بحيث يمكنه وحده تعرفها باستخدام المنظار ، وقت اللزوم ..

وعندما بلغ باب المعمل ، ابتسم (رفقى) فى ارتياح ، وقال :

ـ هكذا سأعلم من أين تأتون أيها الفئران .

قضى يومه هذا مرحا ، بعد أن انتهى من وضع هذا الفخ المبتكر ، وشعرت زوجته بالدهشة ، لاهتمامه البالغ بها طيلة الوقت ، ولكن هذا اسعدها كثيرا ، فتلاشت معه دهشتها ، واكتفت بالاستمتاع بوقتها معه ..

ومع مقدم الليل ، انتهت لحظات الاستمتاع ، فقد عاد (رفقى) عصبيا متوترا ، مما جعلها تقول فى ضجر :

ـ حسنا .. اظننى سأوى إلى فراشى مبكرة الليلة .

غادرته إلى حجرة نومهما ، فى حين شـــعر هـــو بتوتره يتزايد ، وراح يدور حول نفسه فى عصبية ، ويتجـــه نحـــو معمله ، ثم يتراجع ، حتى هتف فجأة :

ـــ لن يضيرنى أن ألقى نظرة .

وضع المنظار الخاص فوق عينيه ، واتجه فى حـــزم إلى معمله ، وفتح بابه ..

وخفق قلبه فى عنف ..

كان من الواضـــح أن كائنات دقيقـــة قد خطت فـــوق السائل ، و ...

وفجأة ارتفع رنين الهاتف ..

وانتفض جسده فى عنف ، مع الرنين المباغت ، وهتف فى حنق :

ـــ اللعنة !.. يا له من وقت غير مناسب على الاطلاق !

راودته فكرة تجاهل رنين الهاتف ، إلا أنه خشى أن يكون المتحدث هـــو صديقه (ســـمير) ، حاملا معلومات جديدة ، فأسرع يلتقط سماعة الهاتف ، قائلا :

ـــ من المتحدث ؟

كان تخمينه صحيحا ، وأتاه صوت صـــديقه (سمير) ، يقول :

ـــ إنه أنا يا (رفقى) ، لن تصدق ما علمتـــه من مركز البحوث .

سأله فى فضول شديد :

ـ ما الذى علمته ؟

كانت المفاجأة التى يحملها (سمير) مذهلة بحق ، انتفض لها عقل (رفقى) وسط جمجمته ، عندما قال (سمير) :

ـ لقد عادت الفئران ..

اتسعت عينا (رفقى) ، وهو يهتف :

ـ عادت ؟!

أجابه (سمير) :

ـ نعم .. لقد انتحلت شخصية صحفى ، والتقيت بعالمى مركز البحوث ، وسألتهما عن مصير الفئـران الهـاربة ، فأخبرانى أنها عادت إلى اقفاصها بعد ساعات من فرارها ، ولكن الصحفى الذى نشر خبر الفرار ، لم يجد ان خبر العودة يحمل نفس الإثارة ، فتجاهل نشره .

لم يكن (رفقى) يسـتمع إلى التفاصـيل ، بل كان عقله كبركان يغلى ..

كيف عادت الفئران ؟..

ما الذى يحاربه فى منزله إذن ؟..

ما الذى .... ؟..

توقفت افكاره بغتة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، من خلف المنظار الخاص ، وهو يحدق فى تلك الآثـار الضئيلة ، التى تركتها أقدام الكائنـات الصغيرة ، والتى تمتـد إلى خارج المعمل ..

فعلى الرغم من صغر الآثـار الشديد ، أمكنه تمييزها فى وضوح ..

كانت آثار أقدام ..

أقدام بشرية ..

* * *

٤ ــ النجدة !!..

ارتفع صوت (سمير) ، عبر أسلاك الهاتف ، يقول :

ــ هل تسمعنى يا (رفقى) ؟.. هل تسمعنى ؟

قالها فى انزعاج كامل ، بعد أن مضت دقيقة كاملة ، لم يسمع خلالها صوت صديقه ، وانتزع (رفقى) نفسه من ذهوله ، وهو يتمتم :

ــ نعم يا (سمير) .. اسمعك .. ولقد فهمت .. فهمت كل شىء .

قال (سمير) :

ــ لا تجعل هذا يقلقك يا صديقى ، إنه بعض إرهاق العمل ، و ...

قاطعه (رفقى) :

ــ بالتأكيد يا صديقى .. بالتأكيد .

وأعاد سماعة الهاتف إلى موضعها ، وعيناه مركزتان على آثار الأقدام البشرية البالغة الدقة ، التى تعبر الممر الطويل ، الذى يقود إلى معمله ..

وبآلية كاملة ، راح (رفقى) يتعقب آثار الأقدام ، عابرا ردهة الفيلا ، ومتجها إلى سلمها الخارجى ، الذى يقوده إلى سطحها ..

وعلى السطح ، كانت آثار الأقدام تتجه نحو حجرة قديمة مهجورة ، كانت والدته تستخدمها فى حياتها لتخزين بعض المواد التموينية ، فتبع (رفقى) الآثار ، وفتح باب الحجرة القديمة ، التى تهدم الجزء الأكبر من سقفها ، و ...

واتسعت عيناه فى دهشة ..

فهناك ، فى ركن الحجرة ، كان يستقر هذا الشىء ..

شىء أشبه بطبق مقلوب ، لا يزيد قطره على نصف المتر ، فى حين تتألق أعلاه كرة مضيئة ، وتبدو فيه ثقوب دقيقة ، يشع منها الضوء ..

وفى انبهار كامل ، انحنى (رفقى) يفحص هذا الشىء ..

كان أشبه بطبق طائر ، من تلك الأطباق التى يتحدثون عنها ، ويصفونها بأنها أجسام مجهولة الهوية ، تأتى من كواكب أخرى ..

ولكن أهى صغيرة الحجم إلى هذا الحد ؟..

وفجأة برزت أمامه تلك العيون الصغيرة ..

وتراجع (رفقى) فى ذعر ..

واتسعت عيناه فى ذهول ..

كانت أمامه ثلاثة مخلوقات صغيرة ، تشبه البشر فى

تكوينها ، فيما عدا أن حجم الراس كان اكبر كثيرا من نسبة

حجم راس البشر إلى أجسادهم ، وكانت العيون واسعة كبيرة ..

وفيما عدا ان هذه المخلوقات كانت فى حجم الفئران ..

مخلوقات صغيرة للغاية ، يتناسب حجمها مع حجم طبقها الطائر ..

ورفع احد هذه المخلوقات بندقيته نحو (رفقى) ، الذى تراجع هاتفا فى ذعر :

ـ لا .. ليس مرة ثانية .

كان يتوقع أن تنطلق الأشعة نحوه ، ولكن المخلوق الثانى أمسك يد رفيقه ، وتحدث إليه بلغة عجيبة ، فخفض بندقيته فى طاعة ، مما جعل (رفقى) يتنهد قائلا :

ـ آه .. شكرا لك .

ادهشة ان اجابه المخلوق الصغير ، بلغة عربية سليمة :

ـ إننا لم نقصد ابدا الإساءة إليك .

هتت فى دهشة :

ـ هل تتحدث العربية ؟

اجابه المخلوق بصوته الخافت :

ـ إننا نتحدث سبعا من لغات كوكبك ، فنحن نراقبكم منذ زمن طويل ، ونقوم برحلات دورية إلى هنا ، ولكن مركبتنا اصيبت بعطب هذه المرة ، واضطررنا للهبوط بها على سطح منزلك ، وكان هذا من حسن حظنا فى الواقع ، فلقد وجدنا لديك كل ما نحتاج إليه لإصلاح مركبتنا ، ولكن ..

سأله (رفقى) فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا ؟

تنهد المخلوق ، وقال :

ـ يبدو اننا لا نمتلك الخبرة الكافية ، فكلنا رجال فضاء ، وليس بيننا فنى واحد ، ولو لم ننجح فى إصلاح مركبتنا ، قبل شروق شمس الغد ، فلن يمكننا اللحاق بالسفينة الأم ابدا .

تأمل (رفقى) الطبق الطائر الصغير ، وسأل فى اهتمام :

ـ هل يمكننى المحاولة ؟

تطلع الثلاثة بعضهم إلى البعض فى دهشة ، ثم غمغم الأول ، الذى بدا وكأنه اكبرهم رتبة :

ـ هذه الأجهزة متطورة للغاية عن عالمكم ، ولكن ..

صمت لحظات ، وكأنه يدرس الأمـــر فى عقله ، ثم هـــز كتفيه ، قائلا :

— ولم لا .. إنك خبير بالأجهزة الدقيقة ، وليس لدينـــا ما نفقده .

تهللت اسارير (رفقى) ، وهتف :

— شكرا لك .. شكرا لك .

اندفع إلى معمله كالصاروخ ، وعاد منـــه يحمل مصباحا ضوئيا كبيرا ، وكل ادواته الدقيقة ..

وطوال خمس ســـاعات كاملة ، راحت أصابعه الخبيرة توصل بعض الأسلاك البالغة الدقة ، وتضـــيف بلورة طاقة هنا ، وتبدل أخرى هناك ، وتختبر ثالثة بينهما ..

ومع نسمات الفجر الأولى ، كان قد انتهى من عمله ..

ونجح ..

وهتف المخلوق الفضائى فى سعادة :

— انت عبقرى أيها الأرضى .. عبقرى بحق .

ثم اخرج من الطبق الطائر درعا ، ناوله إلى (رفقى) ، مستطردا :

— كنا نتمنى أن نهدى إليك هدية عظيمة ، ولكننى لا امتلك هنا سوى هذا الدرع ، الذى يحمل شعار كوكبنا ، وانا اهديه إليك ، رمز الصداقة بيننا .

التقط (رفقى) الدرع بسبابته وإبهامه ، وابتسم قائلا :

— يكفينى وصفك إياى بأننى عبقرى .

ابتسم له المخلوق ، وقال :

— هذه حقيقتك .. معذرة ايهـــا الأرضى .. سنضطر لمفارقتك الآن ، حتى يمكننا اللحاق بسفينتنا الأم .

سأله (رفقى) فى لهفة :

— هل ستعودون ؟

هز المخلوق راسه ، وقال :

— من يدرى ؟ ربما .

لوح لهم (رفقى) بكفه ، وهم يستقلون مركبتهم ، وتراجع والمركبة تنطلق ، عبر الجزء المهـــدم من السقف ، وتبتعـــد بسرعة خرافية ، وغمغم :

— إلى اللقاء .

ثم ابتسم مستطردا :

— أيها الفئران .

* * *

« استيقظ يا (رفقى) .. »

فتح (رفقى) عينيه ، على صوت زوجته ، وتطلع إليها فى حيرة ، قائلا :

— ماذا هناك ؟

ابتسمت قائلة :

— يخيل إلى انه كابوس ، فقد كنت تردد عبـــارة واحدة فى نومك .

سألها فى دهشة :

ـ اية عبارة ؟

تلدت صوته وهى تبتسم ، قائلة :

ـ إلى اللقاء ايها الفئران .. إلى اللقاء ايها الفئران .

حدق فى وجهها بدهشة واسف ..

إذن فكل هذا مجرد حلم !!..

حلم صنعه عقله الباطن ، لمواجهة هذا الفار ، الذى تسلل إلى معمله !!..

شعر باسف حقيقى ؛ لأن كل هذا لم يحدث بالفعل ، وآلمه ذلك الصداع ، الذى يكتنف راسه ، فجلس على فراشـــه ، وقال لزوجته فى ضيق :

ـ حسنا .. لا داعى للسخرية من مجرد حلم .. اريد فنجانا من القهوة .

انحنت امامه فى مرح ، وهى تقول :

ـ كما يامر مولاى .

سألها وهى تغادر الحجرة إلى المطبخ .

ـ اين اقراص معالجة الصداع ؟

اجابته فى مرح :

ـ إلى جوار الفراش كالمعتاد يا ملك الصداع .

مد يده يلتقط واحدا من اقراص معالجة الصداع ، ثم تجمدت أصابعه ، وهو يحدق فى ذلك الشىء ، الذى يستقر إلى جوار شريط الاقراص ..

كان درعا صغيرا ، يحمل شعارا لا ينتمى إلى كوكبنا ..

شعار الفئران ..

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

- السر (قصة قصيرة) ٥

العقرب
سلسلة جديدة (قصة كاملة)

مملكة الشر ١١

- حيث يبدأ العدم (دراسة) ٩٧

قصة العدد :

الفارس ١٠٥

- أمانى (خواطر) ١٦٣
- الفنران (قصة كاملة) ١٦٥
- عزيزى القارئ ٢٠٦

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم